روائع البيان
في إعجاز القرآن

تأليف الأستاذ الدكتور
محمد سالم محيسن
تخصص في القراءات وعلوم القرآن
عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف
دكتوراه في الآداب العربية

دار محيسن
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

دار محيسن

للطباعة والنشر والتوزيع

٤٢ طريق النصر (الأوتوستراد)
وحدة رقم ١ عمارات امتداد رمسيس ٢
مدينة نصر - القاهرة - ت : ٣٦٢١٤١٢٠ (٢٠٢)
المطابع : مدينة العبور - المجمع الصناعي - وحدة ٢٠٥

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٨٦٦٠

الترقيم الدولي : 5-02-76-60 -977

بسم الله الرحمن الرحيم

« المقـــدمة »

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا «محمد» الذى أيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرات، وفى مقدمتها «القرآن الكريم» وأشهد أن لا إله إلا الله القائل:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

وبـــعد:

فعندما أسند إلىَّ تدريس «إعجاز القرآن» بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، أعددت بحثا للطلاب فى ذلك، ثم بدا لى أن أعيد النظر فيه وأضعه فى كتاب كى يستفيد منه المسلمون فقمت بعمل هذا الكتاب وسميته:

روائع البيان فى إعجاز القرآن

وإنى أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع به المسلمين وأن يجعله فى صحائف أعمالى، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلِّ اللهم على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

المؤلف

أ.د/ محمد محمد محمد سالم محيسن

غفر الله له ولوالديه وذريته والمسلمين

المدينة المنورة: الثلاثاء غرة رجب ١٤٠١هـ

الخامس من مايو ١٩٨١م

منهج الكتاب

أما عن المنهج الذى اتبعته فى التصنيف فهو «منهج وصفى تفسيرى» :

بمعنى أننى لم أكتف بتسجيل الظاهرة والفكرة بل أتعدى ذلك إلى التحليل والتعقيب.

وقد أدت طبيعته أن يكون فى فصلين يسبقهما تمهيد، وتقفوهما خاتمة مع وضع فهرس تحليلى لموضوعات الكتاب. وقبل الشروع فى المقصود أستعين بالله تعالى؛ فهو حسبى ونعم الوكيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

« تمهـــيد »

سأتحدث – إن شاء الله تعالى – فى التمهيد عن الفقرات الآتية :

أ – تعريف المعجزة.

ب– هل المعجزة لازمة للرسول ﷺ ؟

جـ – أقسام المعجزة.

د – لماذا تتعدد المعجزات وتختلف ؟

هـ – هل معجزات نبينا «محمد» ﷺ متعددة ؟

و – ما أعظم معجزات نبينا «محمد» ﷺ ؟

ز – ما القدر المعجز من القرآن الكريم ؟

ح – نفى الشعر عن النبى ﷺ، وعن القرآن الكريم.

و إليك تفصيل الحديث عن هذه الفقرات حسب ترتيبها :

أ - تعريف المعجزة :

المعجزة فى اللغة : اسم فاعل مشتق من الإعجاز، والإعجاز : مصدر أعجز، يقال : عجز فلان عن الأمر إذا حاوله فلم يستطعه، ولم تتسع له مقدرته وجهده(١) .

والمعجزة شرعا : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى، يظهره الله تعالى على يد كل رسول ليكون دليلا على صدق رسالته(٢) .

ب - هل المعجزة لازمة لكل رسول ؟

نعم . إن المعجزة لازمة لكل رسول؛ لأنه يأتى إلى القوم المرسل إليهم برسالة جديدة وفريدة، يدعوهم فيها إلى أمور تتغير بها حياتهم الروحية، والعقدية، بل والمادية . إنه يدعوهم أول ما يدعوهم إلى ترك عبادة الأوثان، ويأمرهم بعبادة الله الواحد القهار، نعم . إنها دعوة إلى انقلاب شامل فى تفكير الناس، وفى وجدانهم، ومشاعرهم إلخ .

كل ذلك يتطلب أن يكون بين يدى كل رسول معجزة تشهد له أنه رسول من عند الله .

جـ - أقسام المعجزة :

إن الناظر فى المعجزات التى أيد الله بها سائر أنبيائه ورسله – عليهم الصلاة والسلام – يجدها تنقسم إلى قسمين :

الأول : معجزات حسية تجابه الحواس، وتتحدى القدرة البشرية، وأغلب معجزات الأنبياء السابقين كانت من هذا النوع .

والثانى: معجزات عقلية تواجه العقل وتلقاه بكل ما فيه من قوى الإدراك .

---

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص ٩٠ ط القاهرة.

(٢) انظر : الإتقان للسيوطى جـ ٤ ص ٣ ط القاهرة.

* يقول الإمام السيوطى ت ٩١١هـ:

«وأكثر معجزات بنى إسرائيل كانت حسية . . . . ومعجزة هذه الأمة الإسلامية عقلية؛ لأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر، إلى يوم القيامة خُصَّت بالمعجزة العقلية الباقية؛ ليراها ذوو البصائر» اهـ[١].

د - فإن قيل: لماذا تتعدد المعجزات وتختلف؟

أقول: من يطالع تاريخ الأمم السابقة يجد أن كل نبى كان يحمل بين يديه إلى قومه آية صدقه معجزة، يلقاهم بها متحديا على صورة لم يسبقه إليها أحد من قبل، ولم ينكشف للناس شىء من وجهها قبل أن تطلع عليهم قاهرة متحدية.

واختلاف المعجزات فى أجيال الناس مما اقتضته دواعى الحكمة التى جاءت المعجزات من أجلها.

ذلك أن الناس يختلفون باختلاف أممهم وأمكنتهم، وإذا كانت غاية المعجزة أن يرى الناس فيها صدق الرسول، وقيام الدليل على صحة دعواه، فكان لابد أن تكون هذه المعجزة جارية مع تفكير من تلقاهم، وتتحداهم، آخذة بعقولهم وقلوبهم، وبهذا تستولى المعجزة على كيان الناس، وتخرس ألسنتهم، فلو أن «عصا» نبى الله «موسى» عليه السلام مثلا كانت هى المعجزة التى يتناولها الرسل رسولا بعد رسول؛ لكان فى ذلك حصر أمارات السماء فى أمر واحد على صورة متكررة، ولعله يدفع إلى الشك - والعياذ بالله - فى القدرة الإلهية التى لا حدود لها.

لهذا كان من تدبير الحكيم العليم القادر أن يكون مع كل نبى دليل صدقه لا يشاركه فيه أحد غيره، وأن تكون معجزته التى يلقى بها الناس حدثا فريداً لم يقع لهم فى خاطر، ولم يحل لهم فى تفكير[٢].

(١) انظر: الإتقان للسيوطى جـ ٢ صـ ١١٦ ط القاهرة.
(٢) انظر: إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب صـ ٦٠ ط القاهرة ١٩٦٤.

هـ - فإن قيل: هل معجزات نبينا «محمد» ﷺ متعددة؟

أقول: مما لا شك فيه أن معجزة رسولنا «محمد» ﷺ الخالدة «القرآن الكريم»، إلا أنه هناك معجزات أخرى حسية كثيرة ومتعددة.

*** يقول «أبو بكر الباقلانى» ت ٤٠٣ هـ:**

«إن نبوة نبينا «محمد» ﷺ بنيت على هذه المعجزة: «القرآن الكريم» وإن كان قد أُيد بعد ذلك بمعجزات كثيرة، إلا أن تلك المعجزات قامت فى أوقات خاصة، وأحوال خاصة، ونقل بعضها نقلاً متواتراً يقع العلم به وجوبًا، وبعضها مما نقل نقلاً خاصًا، إلا أنه حُكى بمشهد من الجمع العظيم الذين شاهدوه، فلو كان الأمر على خلاف ما حُكى لأنكروه، أو لأنكر بعضهم فحلّ محلّ المعنى الأول، وإن لم يتواتر أصل النقل فيه، وبعضها مما نقل من جهة الآحاد، وكان وقوعه بين يدى الآحاد، فأمّا دلالة «القرآن» فهى عن معجزة عامة عمّت الثقلين، ولزم الحجة بها فى أول وقت ورودها إلى يوم القيامة على حدٍّ واحد» اهـ[1].

و - فإن قيل: ما أعظم معجزات نبينا «محمد» ﷺ؟

أقول: مما لا جدال فيه أن أعظم معجزات النبى - صلى الله عليه وسلم - «القرآن الكريم»، كما صرح بذلك القرآن نفسه، قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥٠-٥١].

*** ويقول «ابن خلدون» ت ٨٠٨ هـ:**

«اعلم أن أعظم المعجزات، وأشرفها، وأوضحها دلالة «القرآن الكريم» المنزّل على نبينا «محمد» ﷺ . . . . . .

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلانى بهامش الإتقان صـ ٩ ط القاهرة.

ثم يقول: والقرآن نفسه هو الوحى، وهو الخارق، والمعجزة، فشاهده فى عينه لا يفتقر إلى دليل مغاير له، فهو واضح الدلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه» اهـ(١).

ز- فإن قيل: ما القدر المعجز من القرآن الكريم؟

أقول: لقد اختلف العلماء فى ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الإعجاز متعلق بجميعه لا ببعضه، وهذا رأى المعتزلة، ولعلهم يستدلون على رأيهم بقول الله تعالى:

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ورُدّ هذا القول بأن آيات التحدى مثل قوله تعالى:

﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] تخالف هذا القول.

القول الثاني: أن القدر المعجز: القليل والكثير ولا يتقيد بسورة تامة؛ لقوله تعالى:

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤].

والحديث يصدق على القليل والكثير.

ورُدّ هذا القول بأن الحديث التام لا يتأتى إلا بأقصر سورة أو مثلها، كما بين ذلك قول الله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

(١) انظر: إعجاز القرآن للخطيب صـ ٨٠ ط القاهرة ١٩٦٤م.

القول الثالث: أن الإعجاز يتعلق بسورة تامة ولو قصيرة، ودليلهم على ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣]، وهذا هو القول المشهور لدى العلماء(١).

ح - نفى الشعر عن النبى ﷺ، والقرآن الكريم:

إن الكلمة عند العرب لها أنماط مختلفة منها:

الخطب، والأمثال، والأسجاع، والأراجيز، والشعر.

وكان العرب بسجيتهم يدركون سر الكلمة حيث وهبهم الله الفصاحة والبلاغة، ولما بُعث النبى ﷺ، وأيده الله بمعجزة «القرآن الكريم» الذى هو الغاية القصوى فى الفصاحة والبلاغة، وقوة التأثير اتهمه العرب بالعديد من الاتهامات الباطلة الكاذبة، أذكر منها ما يلى:

وصفوه بأنه شاعر، وذلك ليجردوه من صفة «النبوة» ويخلعوا عنه رداء الرسالة، وقد جاء الاتهام الزائف فى قول الله تعالى:

﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء:٥]

وفى قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات:٣٦].

وبما أن الشعراء يتناولون أغراض الشعر المختلفة التى منها:

الهجاء المقذع، والغزل الفاحش، والمدح الزائف، ويتجاوزون حد الاعتدال، ويجرون وراء المبالغة، وأقوالهم فى الغالب تناقض أفعالهم.

وهذه كلها صفات لا تتفق مع جلال النبوة، وسموّ الرسالة؛ لأن النبى ﷺ بعثه الله هاديًا ومبشراً ونذيرا، ومن صفاته الصدق، والأمانة.

(١) انظر: منهج الفرقان فى علوم القرآن لمحمد على سلامة جـ ٢ صـ ١٧٥ ط القاهرة ١٩٣٨م.

نجد «القرآن الكريم» ينزه النبى -صلى الله عليه وسلم- عن أن يكون شاعرا فيقول:

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: ٦٩].

ويقول: ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة: ٤١].

وقال بعض الحكماء:

«لم يُر شخص متدين صادق اللهجة مفلقًا فى شعره»[1].

وقال بعضهم حينما سئل عن الشاعر:

«إن هزل أضحك، وإن جد كذب، فالشاعر بين كذب وإضحاك»[2].

ولقد أشارت الآية الكريمة فى إيجاز إلى بعض صفات الشعراء التى لا تتفق مع رسالة الأنبياء، فقال الله تعالى:

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٦].

و ما دامت صفة الشاعرية قد انتفت عن النبى ﷺ فقد انتفى - أيضا - أن يكون «القرآن الكريم» شعرا؛ لأن معانى «القرآن» تختلف عن معانى الشعر.

ونظم «القرآن» يغاير نظم الشعر، والشعر فيه الخير والشر، وفيه الحق والباطل، وفيه الفضيلة والرذيلة، وفيه العاطفة الرقيقة، والقول الفاحش.

أما «القرآن الكريم» فهو منزه عن كل عيب: فهو نور وبرهان، استمع إلى قول الله تعالى فى وصف القرآن:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً ﴾ [النساء: ١٧٤].

---

(١) انظر: مع القرآن فى إعجازه وبلاغته د / عبد القادر حسن صـ ٥٣ ط القاهرة.

(٢) انظر: البرهان للزركشى جـ٢ صـ ١١٢ ط القاهرة.

والقرآن الكريم لا اعوجاج فيه، ولا تهافت، قال الله تعالى في هذا المعنى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف: ١-٢]

وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣].

ومع ذلك فقد زعم بعض الملاحدة الذين يريدون تلبيس الأمور، وتزييف الحقائق أن «القرآن الكريم» يجرى على مثال ما يجرى على ألسنة الشعراء، وأنه يتمشى مع الأعاريض المألوفة لديهم، وأوردوا على ذلك بعض الآيات القرآنية زاعمين أنها تجرى على بعض البحور الشعرية لدى العرب.

مثل قول الله تعالى:

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤] بإشباع حركة الميم فى «عليهم» فيقولون: هو من بحر الرجز.

ومثل قوله تعالى:

﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]

قالوا: هو من بحر الوافر.

وقوله تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ١-٢]

قالوا: هو من بحر الخفيف.

وقد أجيب على هذه الدعوة الكاذبة بما يلى:

أولاً: لو كان ذلك شعرا لكانت النفوس تتشوق إلى معارضته؛ لأن طريق

الشعر غير مستصعب على أهل الزمان الواحد، وأهله يتقاربون فيه، أو يضربون فيه بسهم[١].

ثانيًا : القصيدة العربية لها بحور معروفة، وتتفق فى الوزن والروىّ من بدايتها إلى نهايتها، وليس فى «القرآن الكريم» شىء يشبه القصيدة[٢].

ثالثًا : حد الشعر الصحيح أن يكون كلاما مقفى موزونا، لا يقع مثله إلا من عالم به قاصد إلى وزنه وتقفيته، فالكلام لا يطلق عليه كلمة «شعر» إلا إذا قصد القائل إلى قول الشعر، ولا يكون إلا من شاعر، فليس كل من يقول قولا واتفق مع وزن من الأوزان اعتبرناه شاعراً، وإلا كان الناس معظمهم شعراء؛ لأن المتكلم لا يخلو كلامه مما يتزن بوزن الشعر وينتظم بانتظامه[٣].

والغالب على ما اتفق نظمه من القرآن على وزن الشعر أنه جزء آية.

وسواء كان آية، أو بعض آية فلا يمكن أن يسمى شعراً، إذ ليس كل كلام اتفق جزء منه مع وزن بعض بحور الشعر صار شعراً؛ لأن الشعر نظام، وبناء كامل، ولا بد أن يكون البناء كله متفقا مع بناء الشعر، فالنظم إذن جاء عرضا واتفاقا، ولم يطّرد حتى يكون بناء متكاملاً، فما قبل تلك الآيات التى اتفق وزنها وما بعدها لا يتفق معها فى الوزن، فإن اتفاق بعض الآيات، أو جزء منها مع بعض أوزان البحور لا يدخلها فى حيز الشعر أيًا كان المقصود به[٤].

– والله أعلم –

---

(١) انظر: البرهان للزركشى جـ٢ صـ١١٧ ط القاهرة.
(٢) انظر: مع القرآن فى إعجازه وبلاغته صـ٥٧ ط القاهرة.
(٣) انظر: الإتقان للسيوطى جـ٤ صـ١٩ ط القاهرة.
(٤) انظر: مع القرآن فى إعجازه وبلاغته صـ ٥٨ ط القاهرة.

الفصل الأول

آراء العلماء حول إعجاز القرآن الكريم

الفصل الأول
آراء العلماء حول إعجاز القرآن الكريم

مع أن الإجماع منعقد على أن «القرآن الكريم» هو المعجزة الخالدة للنبى ﷺ، إلا أن الوقوف على الجهة التى كان منها الإعجاز القرآنى مسألة لم تلتق عندها آراء العلماء والباحثين.

وساكتفى هنا بذكر طرف من هذه الآراء؛ لأنها وإن تعددت فكثيرا ما تلتقى فى الهدف والمضمون، وإليك آراء بعض العلماء فى إعجاز القرآن حسب تاريخ وفياتهم:

أبو حيان التوحيدى ت ٣٨٠هـ ورأيه فى إعجاز القرآن[١]:

قال «أبو حيان»:

«سئل بندار الفارسى عن موضع الإعجاز من «القرآن»؟ فقال: هذه مسألة فيها حيف على المعنى، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسان من الإنسان؟

فليس للإنسان موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته، ودللت على ذاته، كذلك «القرآن» لشرفه لا يشار إلى شىء فيه، إلا وكان ذلك المعنى آية فى نفسه، ومعجزة لمحاوله، وهدى لقائله، وليس فى طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله فى كلامه وأسراره فى كتابه، فلذلك حادت العقول، وتاهت البصائر عنده» اهـ[٢].

من هذا يتبين أن «أبا حيان» يرى أن «القرآن» معجزة فى ذاته، فلا يمكن أن يقال: أين المعجزة فيه، أو منه؟

فكأن القائل بهذا يقول: أين المعجزة فى المعجزة؟

— والله أعلم —

(١) هو على بن العباس المعروف بأبى حيان التوحيدى يقول عنه «ياقوت الحموى» ت ٣٨٠هـ:
«كان متفننا فى جميع العلوم من النحو، واللغة، والشعر، والفقه، والكلام على رأى المعتزلة، وكان جاحظيا يسلك فى تصانيفه مسلكه، ويشتهى أن ينتظم فى سلكه، وهو فيلسوف الأدباء، وأديب الفلاسفة» اهـ:
انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموى جـ١٥ صـ٥ ط القاهرة، ومعجم المؤلفين جـ٧ صـ ٢٠٥.

(٢) انظر الإتقان جـ ٤ صـ١٢ ط القاهرة.

الخطابى ت ٣٨٨ هـ ورأيه فى الإعجاز[1]:

لا أكون مبالغا إذا قلت: لعل الخطابى أول الباحثين فى إعجاز «القرآن» بحثا علميا دقيقا منظما، وإليك رأيه فى الإعجاز:

من يطالع كتاب الخطابى[2] يستطيع أن يحكم بأنه يرى أن إعجاز «القرآن» إنما يكون باللفظ والمعنى معا: أى بهذا الأسلوب من النظم الذى جمع بين أفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف، متضمنا أصح المعانى وأبلغها، فالصورة البيانية بجميع عناصرها كيان واحد هو «نظم القرآن الكريم»، وهو الذى أعجز العرب عن معارضته، والوقوف إزاءه.

وإليك قبسًا مما ورد فى رسالة الخطابى حيث يقول:

«اعلم أن القرآن إنما صار معجزا؛ لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف متضمنا أصح المعانى من توحيد الله - عزت قدرته -، وتنزيه له فى صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهى عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساوئها، واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يُرى شىء أولى منه، ولا يُرى فى صورة العقل أمر أليق منه، مودعا أخبار القرون الماضية، وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم، منبئا عن الكوائن المستقبلة، جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول؛ ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، وإنباء

---

(١) الخطابى هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستىّ، أبو سليمان، فقيه، محدث، من أهل بست من بلاد «كابل» من نسل «زيد بن الخطاب» أخى «عمر بن الخطاب» رضى الله عنه، ولد عام ٣١٩ هـ وتوفى عام ٣٨٨هـ فى بست فى رباط على شاطىء هيرمند، وله عدة مؤلفات منها: معالم السنن فى مجلدين، وشرح سنن «أبى داود»، وبيان إعجاز القرآن، وإصلاح غلط المحدثين، وغريب الحديث، وشرح البخارى إلخ:
انظر ترجمته فى: الأعلام للزركلى جـ٢ صـ٣٠٤ ط بيروت، وتحفة ذوى الأرب صـ ١٥٤، ووفيات الأعيان جـ١ صـ١٦٦ وإنباه الرواة للقفطى جـ١ صـ١٢٥، وخزانة الأدب للبغدادى جـ١ صـ ٢٨٢.

(٢) طبعت رسالة الخطابى ضمن ثلاث رسائل فى الإعجاز بتحقيق لجنة بدار المعارف بمصر، واسم الرسالة «بيان إعجاز القرآن».

عن وجوب ما أمر به ونهى عنه» اهـ[١]، ثم يعرض «الخطابى» رأيه فى روعة «القرآن»، وأخذه بالأفئدة والقلوب، فيقول: «قلت فى إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب، وتأثيره فى النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما، أو منثوراً، إذا قرع السمع خلص منه إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال، ومن الروعة والمهابة فى أخرى ما يخلص من القرآن إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة وقد عراها القلق، وتغشاها الخوف، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها، وعقائدها الراسخة فيها، فكم من أعداء للرسول ﷺ من رجال العرب، وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله، فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت فى مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا فى دينه.

يروى أن «عمر بن الخطاب» - رضى الله عنه - خرج يريد رسول الله ﷺ، ويعمد لقتله، فسار إلى دار أخته وهى تقرأ سورة «طه»، فلما وقع فى سمعه لم يلبث أن آمن. اهـ[٢].

وروى أصحاب السير النبوية أن «أبا جهل» - عليه لعنة الله - قال فى ملإٍ من قريش: «التبس علينا أمر «محمد» فلو التمستم رجلا عالما بالشعر، والسحر، والكهانة، فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره، فقال «عتبة بن ربيعة»: والله لقد سمعت الشعر، والسحر والكهانة، وعلمت من ذلك علما وما يخفى علىَّ، فأتاه فقال:

يا محمد أنت خير أم هاشم؟

أنت خير أم عبد المطلب؟

أنت خير أم عبد الله؟

(١) انظر: رسالة الخطابى صـ ٢٤ ـ ٢٥ ط القاهرة

(٢) انظر: رسالة الخطابى صـ ٦٤ ط القاهرة.

لِمَ تشتم آلهتنا وتضللنا ؟

فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا .

وإن كنت تريد الزواج زوجناك عشر نسوة : أى بنات مَنْ شئت من قريش .

وإن كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغنى به ، حتى تكون أكثرنا مالاً .

ورسول الله ﷺ ساكت ، فلما فرغ «عتبة» من كلامه قال له النبى ﷺ : «قد فرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاسمع منى ، قال : يا ابن أخى قل أسمع ، فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) ﴾ حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣] ، فوثب «عتبة» ووضع يده على «فم» النبى - صلى الله عليه وسلم - ، وناشده الرحم ليسكت ، ورجع إلى بيته ولم يخرج منه إلى قريش ، فلما احتبس عنهم قالوا : صبأ عتبة فانطلقوا إليه ، وقالوا له : ما حبسك عنا ، إلا أنك قد صبأت .

فقال لهم : لقد كلمته فأجابنى بشىء ما هو بشعر ، ولا سحر ، ولا كهانة ، فلما بلغ «مثل صاعقة عاد وثمود» أمسكت بفيه ، وناشدته الرحم ، ولقد علمتم أن «محمدا» لا يكذب ، إذا قال شيئا وقع كما قال ، فخفت أن ينزل بكم العذاب» اهـ[(١)] .

وفى رواية أخرى:

لما احتبس «عتبة بن ربيعة» جاءه «أبو جهل» ، وقال له : «ياعم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوك إياه ، فإنك أتيت «محمداً» وملت إلى دينه ، فقال «الوليد» مستنكرا عرض المال عليه : «لقد علمت قريش أنى من أكثرها مالا» .

---

(١) انظر : القرآن العظيم هديه وإعجازه ، لمحمد عرجون صـ٣١٤ ط القاهرة .

قال «أبو جهل»: فقل فيه قولا يبلغ قومك فيعلمون أنك مكذب له وكاره.

قال الوليد: وماذا أقــول له؟ فوالله ما فيكم رجــل أعـلم مـنى بالشـعـر، لا برجزه ولا بقصيده، والله ما يشبه الذى يقوله «محمد» شيئا من هذا، والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطــلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مشرق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته» اهـ.

فغضب «أبو جهل» لهذه الشهادة. . . . . ، فعاد «أبو جهل» يلح على «الوليد» وقال له: «لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه»، فقال «الوليد»: دعنى أفكر، وبعد تفكير عميق قال: «إن هذا إلا سحر يؤثر»[1]. ولعله قصد بالسحر ما جاءت به قوى خفية لا يعرف الناس عادة حقيقتها».

وفى هذا الحوار نزل قول الله تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

[المدثر: ١١-٣٠]

– والله أعلم –

(١) انظر: نظرات فى القرآن لمحمد الغزالى ص١٤٩ ط القاهرة ١٩٦١م.

الباقلانى ت ٤٠٣ هـ ورأيه فى الإعجاز[1]:

يعتبر الباقلانى من العلماء البارزين الذين نظروا فى إعجاز القرآن نظرا مباشرا وقد ألّف كتابا فى ذلك[2].

ومن يطالع كتاب «الباقلانى» يجده يقيم الدليل تلو الدليل على أن «القرآن الكريم» هو معجزة الرسول ﷺ الخالدة، وإليك قبسًا من كتاب «الباقلانى»؛ لنقف على حقيقة رأيه فى الإعجاز:

يقول «الباقلانى»: «فأما الذى يبين أن الله تعالى حين ابتعث النبى ﷺ جعل معجزته القرآن، وبنى أمر نبوته على سور كثيرة، وآيات، نذكر بعضها وننبه بالمذكور على غيره، فليس يخفى بعد التنبيه على طريقه.

فمن ذلك قول الله تعالى:

﴿الٓر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

فقد أخبر الله أنه أنزل القرآن؛ ليقع الاهتداء به، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة» اهـ[3].

ومن يقرأ كتاب الباقلانى بتمهل وإنعام نظر يجد الباقلانى يحصر وجوه الإعجاز فى أمور ثلاثة اشتمل عليها القرآن، وبها جميعها وقع الإعجاز، وقامت المعجزة، وإليك هذه الوجوه الثلاثة:

---

(١) الباقلانى هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر الباقلانى، من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة فى مذهب الأشاعرة، ولد بالبصرة عام ٣٣٨ هـ وسكن بغداد، وكان جيد الاستنباط، سريع الجواب توفى ببغداد عام ٤٠٣ هـ وله عدة مصنفات منها: إعجاز القرآن، ومناقب الأئمة، والملل والنحل، وهداية المرشدين، وكشف أسرار الباطنية، وغير ذلك.

انظر ترجمة الباقلانى فى: الأعلام للزركلى جـ٧ صـ٤٦ ووفيات الأعيان جـ١ صـ٤٨١، والديباج المذهب صـ٢٦٧.

(٢) طبع كتاب الباقلانى بهامش الإتقان للسيوطى.

(٣) انظر: إعجاز القرآن للباقلانى جـ١ صـ١٠ هامش الإتقان.

الوجـه الأول:

الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه:

فمن ذلك: ما وعد الله تعالى به نبيه -صلى الله عليه وسلم- من أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله عز وجل:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩].

ثم يأخذ «الباقلانى» فى سرد ما فتح الله على المسلمين، وما دخل فى الدولة الإسلامية من ممالك ودول؛ تحقيقا لوعد الله تعالى[(١)].

الوجـه الثانى:

أنه كان معلوما من حال النبى ﷺ أنه كان أميا لا يقرأ، ولا يكتب، وكذلك كان معروفا من حاله أنه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم، وأنبائهم، وسيرهم، ثم أتى بجملة ما وقع، وما حدث من عظيمات الأمور، ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام، إلى حين مبعثه ﷺ.

فذكر القرآن الذى هو أهم معجزاته قصة «آدم» عليه السلام من ابتداء خلقه، وما صار إليه أمره من الخروج من الجنة، وتوبته.

ثم ذكر قصة «نوح» عليه السلام، وما كان بينه وبين قومه، وما انتهى إليه أمره، وكذلك أمر نبى الله «إبراهيم» عليه السلام إلى غير ذلك من سائر الأنبياء[(٢)]، ومما هو معلوم بالضرورة أنه لا سبيل إلى معرفة كل ذلك، إلا بطريق التعليم.

وإذا كان معروفا لدى الجميع وبخاصة أهل مكة المكرمة الذين حاربوا النبى ﷺ، أن النبى -صلى الله عليه وسلم- لم يكن ملابسا لأهل الآثار، وحملة الأخبار، ولم يثبت بطريق من الطرق أن النبى ﷺ كان يتردد على معلم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه.

---

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلانى جـ١ صـ ٥٣ بهامش الإتقان.

(٢) هناك مؤلفات خاصة فى قصص القرآن فليرجع إليها من يشاء.

وإذا كان الأمر كذلك علم أنه لا يمكن الوصول إلى معرفة ذلك، إلا عن طريق الوحى من السماء، قال الله تعالى مشيرا إلى هذه المعانى كلها:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]

الوجـه الثالث: نظم القرآن الكريم:

وفى هذا يقول «الباقلانى»: «القرآن الكريم» بديع النظم، عجيب التأليف، متناه فى البلاغة إلى الحد الذى يعلم عجز الخلق عنه، والذى أطلقه العلماء هو على هذه الجملة، ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل، ونكشف الجملة التى أطلقوها فنقول:

«من ذلك أن نظم «القرآن» على تصرف وجوهه، واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام غير المقفى، ثم إلى ما يرسل إرسالا، فتطلب فيه الإصابة والإفادة، وإفهام المعانى المعترضة على وجه بديع، وترتيب لطيف . . . . ».

وقد علمنا أن «القرآن» خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق، ويبقى علينا أن نبين أنه ليس من باب السجع، ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس من قبيل الشعر؛ لأن من الناس من زعم أن «القرآن» كلام مسجع، ومنهم من يدعى أن فيه شعرا، فهذا إذا تأمله المتأمل تبين له خروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم، وأنه خارج عن العادة، وأنه معجزة، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل فى جميعه[1].

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلانى جـ١ ص ٥٥ - ٥٦ بهامش الإتقان.

ومنها أنه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والغرابة، والتصريف البديع، والمعانى اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتناسب فى البلاغة، والتشابه فى البراعة على هذا الطول، وعلى هذا القدر.

وقد جاء القرآن على كثرته وطوله متناسبا فى الفصاحة على ما وصفه الله به فقال – عزّ من قائل – :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣].

فقد أخبر سبحانه أن كلام الآدمى إن امتدّ وقع فيه التفاوت، وبان عليه الاختلاف، والقرآن فى عجيب نظمه، وبديع تأليفه لا يتفاوت، ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التى يتصرف فيها من ذكر قصص، ومواعظ، واحتجاج، وحكم وأحكام، وأعذار، وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التى يشتمل عليها.

ونجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المفلق، والخطيب المصقع، يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور:

فمن الشعراء من يجود فى المدح دون الهجو، ومنهم من يبرز فى الهجو دون المدح، ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت فى شعره على حسب الأحوال التى يتصرف فيها، فيأتى بالغاية فى البراعة فى معنى إذا جاء إلى غيره قصر عنه، ووقف دونه، وبان الاختلاف فى شعره ولقد تأملت نظم «القرآن» فوجدت جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التى قدمنا ذكرها على حدٍّ واحد فى حسن النظم، وبديع التأليف، والوصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا» اهـ[1].

– والله أعلم –

(١) انظر: إعجاز القرآن للباقلانى جـ١ ص ٥٥ – ٥٦ بهامش الإتقان.

القاضى عبد الجبار ت ٤١٥ هـ ورأيه فى الإعجاز[١]،

لقد أفرد «عبدالجبار» فى كتابه «المغنى» الجزء السادس عشر للحديث عن الإعجاز.

ومن ينظر فى هذا الجزء يجد مؤلفه لا يتكلم فيه عن الإعجاز مباشرة، بل يقدم له بعدة مباحث تكاد تستنفد القدر الأكبر من هذا الجزء، فهو يحاول أن يقرر أولاً صحة «القرآن» وتواتر نقله، والدواعى التى تقوم لهذا الغرض، وتتظاهر على الاحتفاظ به كاملا بعيدا عن أىّ تحريف إلخ.

ثم يعرض «عبد الجبار» للأسلوب الذى يجىء عليه نظم الكلام، وهل لهذا الأسلوب أثر فى فصاحة الكلام وبلاغته؟! فيقول:

«اعلم أن الفصاحة لا تظهر فى أفراد الكلام، و إنما تظهر فى الكلام بالضمّ على طريقة مخصوصة، ولابدّ مع الضمّ من أن يكون لكل كلمة صفة: أى معنى، وقد يجوز فى هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التى تتناول الضمّ، وقد تكون بالإعراب الذى له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع؛ لأنه إما أن تعتبر فيه الكلمة، أو حركاتها، أو موقعها...

ولابدّ من هذا الاعتبار فى كل كلمة، ثم لابدّ من اعتبار مثله فى الكلمات إذا انضمّ بعضها إلى بعض؛ لأنه قد يوجد لها عند الانضمام صفة، وكذلك لكيفية إعرابها و حركاتها، وموقعها. فعلى هذا الوجه الذي ذكرناه إنما تظهر مزية الفصاحة بهذه الوجوه دون ما عداها» اهـ[٢].

---

(١) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذانى أبو الحسين، كان شيخ المعتزلة فى عصره، وكان يلقب بقاضى القضاة ولى القضاء بالرىّ، ومات فيها عام ٤١٥ هـ.
له عدة مصنفات منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، انظر: ترجمة عبد الجبار فى: الأعلام للزركلى جـ٤ صـ٤٧ ولسان الميزان جـ٣ صـ ٣٨٦، وتاريخ بغداد جـ١١ صـ١١٣، والرسالة المستطرفة صـ١٢٠، ومعجم المطبوعات صـ١٢٦٩.

(٢) انظر: المغنى لعبد الجبار جـ١٦ ص ٢١٩.

وجه إعجاز القرآن عند «عبد الجبار»

بعد أن انتهى «عبد الجبار» من تلك الجولة الواسعة قرر أن «إعجاز القرآن» إنما هو فى جزالة لفظه، و حسن معناه، على وجه لم تبلغه بلاغة البلغاء، وفصاحة الفصحاء، و لنستمع إليه حيث يقول:

«إن النظم القرآنى قد جاء على هذا الاتجاه الذى يتفاضل فيه الكلام، ويتقدم بعضه على بعض، ثم حيث انتهت غايات البيان العربى، وحيث لم يكن للبلغاء والفصحاء مذهب وراء هذا، أخذ «القرآن الكريم» راية البيان وسار بها أشواطا بعيدة، وأرباب البلاغة والبيان واقفون مشدوهين، ومأخوذين، كأنما أمسكت الأرض بهم لا يتحركون قيد أنملة، يدخلون بها على هذا الحمى الذى لا تقوم بينهم وبينه حواجز وحوائل» اهـ[١].

– والله أعلم –

(١) انظر: المغنى لعبد الجبار جـ ١٦ ص ٢٢٠.

عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ ورأيه في الإعجاز[1]:

من يقرأ كتاب «دلائل الإعجاز» يجد أن «عبد القاهر» يدخل إلى مبحث الإعجاز مدخلا بليغا، حيث تحدث أولاً عن نظرية «النظم» وجعلها مدار الإعجاز، ومناط البلاغة.

وقد انتهى فيها إلى أنه لا نظم في الكلام، ولا ترتيب حتى يعلق بعضه على بعض، ويبنى بعضه على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، ولا معنى لذلك، إلا أن يعمد المتكلم إلى اسم فيجعله فاعلا لفعل، أو مفعولا له إلخ.

فليس النظم إذاً إلاّ أن يضع المتكلم كلامه الوضع الذى يقتضيه علم النحو، وليست العبرة فى الكلام البليغ بصوابه، ولكن أن يؤلف على نسق تدرك أسراره بالفكر اللطيفة، ويوصل إلى دقائقه بالفهم الثاقب، وعلى هذه الأسس التى أطال فى شرحها «عبد القاهر» مضى يبين أسرار تكوين الجملة البليغة، وماذا يستفاد من معان تفهم من تكوينها على نحو خاص، وورودها على هيئة مخصوصة، فعقد أبوابا للمعانى التى تستفاد من تقديم بعض أجزاء الجملة على بعض، أو من حذف بعض أجزاء الجملة، أو تعريفها، أو تنكيرها، حتى يستطيع المتكلم أن يكون جملته على النسق الذى يصل به إلى هدفه من تأليف الكلام، وبهذا تفرد «القرآن الكريم» بتلك المنزلة الرفيعة العالية من بين سائر الكلام.

---

(١) هو عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر من أهل جرجان بين طبرستان وخراسان، كان من أئمة اللغة، وهو الواضع لأصول قواعد البلاغة، وله عدة مصنفات منها: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجمل فى النحو، والمغنى شرح الإيضاح «ثلاثون جزءاً»، وإعجاز القرآن، والعوامل المائة:
انظر ترجمة عبد القاهر فى: الأعلام للزركلى جـ٤ صـ١٧٤، ووفيات الأعيان جـ١ صـ٢٩٧، وبغية الوعاة صـ٣١٠، ومفتاح السعادة جـ١ صـ١٤٣ وآداب اللغة جـ٣ صـ٤٤، ومرآة الجنان جـ٣ صـ١٠١، وطبقات الشافعية جـ٣ صـ٢٤٢، ونزهة الألباء صـ٤٣٤، وإنباه الرواة جـ٢ صـ١٨٨.

إن العرب حينما سمعوا «القرآن» سمعوا كلاما لم يسمعوا مثله قط، وأنهم قد أحسّوا بالعجز عن أن يأتوا بما يوازيه، ويدانيه، أو يقع قريبا منه، وهنا يسأل «الجرجانى» هذا السؤال:

ماذا أعجز العرب من القرآن ؟

وعن ماذا عجزوا ؟

أعن دقة معانيه وصحتها وحسنها، أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟

ويجيب «عبد القاهر» عن السؤال الثانى الذى يتصل باللفظ؛ لأن كلاً من اللفظ والمعنى كيان واحد للصورة الكلامية، فليس عنده فى الكلام لفظ ومعنى، وإنما الذى عنده هو الصورة البيانية التى تؤلف بين اللفظ والمعنى، ولنستمع إليه حيث يقول:

«أعجزتهم مزايا ظهرت لهم فى نظمه، وخصائص صادفوها فى سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادىء آيه ومقاطعها، ومجارى ألفاظه ومواقعها، وفى مضرب كل مثل، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام، وترغيب وترهيب، ويبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وآية آية، فلم يجدوا فى الجميع كلمة ينبو بها مكانها، أو لفظة ينكرها شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح منها، وأعجز الجمهور نظاما والتاما وإتقانا وإحكاما، لم يدع فى نفس بليغ منهم موضع طمع حتى خرست الألسن أن تدعى وتقول» اهـ[1].

رأى عبد القاهر فى «إعجاز القرآن»:

بعد كل هذا نجد أن «عبد القاهر» يقرر أن «إعجاز القرآن» هو من جهة نظمه، وما فى النظم من إحكام يجمع بين المعنى فى أروع وأصدق أحواله الداعية إليه، وبين اللفظ فى أجمل وأليق أوضاعه لأداء المعنى المراد.

– والله أعلم –

(١) انظر: دلائل الإعجاز لعبد القاهر ص ٣٢ ط القاهرة.

الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ ورأيه في إعجاز القرآن(١):

يقول «الأصفهاني» :

«اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين :

أحدهما: إعجاز يتعلق بنفسه .

والثاني: يصرف الناس عن معارضته .

فالأول: إما أن يتعلق بفصاحته، وبلاغته أو بمعناه .

أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى، فإن ألفاظه ألفاظهم، ولا بمعانيه فإن كثيرا منها موجود فى الكتب المتقدمة، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٦].

وما هو فى «القرآن» من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد، والإخبار بالغيب .

فإعجازه ليس براجع إلى «القرآن» من حيث هو «قرآن»، بل لكونها حاصلة من غير سبق تعلّم وتعليم، ويكون الإخبار بالغيب إخبارا بالغيب، سواء كان بهذا النظم أو بغيره، مورداً بالعربية، أو بلغة أخرى، بعبارة أو إشارة .

فإذاً بالنظم المخصوص صورة «القرآن» واللفظ والمعنى عنصره، وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره، كالخاتم والقرْط والسوار، فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها، لا بعنصرها الذى هو الذهب، والفضة، والحديد، فإن الخاتم المتخذ من الذهب، ومن الفضة، ومن الحديد يسمّى خاتما، وإن كان العنصر مختلفا، فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص .

(١) هو : الحسين بن محمد بن الفضل، المعروف بالراغب الأصفهاني، أبو القاسم ، كان أديبا، لغويا، مفسرا، حكيما، له مصنفات كثيرة، منها : تحقيق البيان فى تأويل القرآن، والذريعة إلى مكارم الشريعة، ومفردات ألفاظ القرآن، انظر : ترجمته فى : معجم المؤلفين جـ٤ صـ٥٩ .

وبيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام، ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه فنقول:

مراتب تأليف الكلام خمس:

الأولى: ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض؛ لتحصل الكلمات الثلاث: الاسم، والفعل، والحرف.

والثانية: تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض؛ لتحصل الجمل المفيدة، وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعا فى مخاطباتهم، وقضاء حوائجهم، ويقال له: المنثور من الكلام.

والثالثة: ضم بعض ذلك إلى بعض ضمًّا له مبادىء ومقاطع، ومداخل ومخارج، ويقال له: المنظوم.

والرابعة: أن يعتبر فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع، ويقال له: المسجَّع.

والخامسة: أن يجعل له مع ذلك وزن، ويقال له: الشعر.

فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام، ولكل من ذلك نظم مخصوص.

والقرآن جامع لمحاسن الجميع، على نظم غير نظم شىء منها.

يدلّ على ذلك أنه لا يصح أن يقال له: رسالة، أو خطابة، أو شعر، أو سجع، كما يصح أن يقال: هو كلام.

والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه، وبين ما عداه من النظم، ولهذا قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

تنبيهًا على أن تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر، فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان، كحالة الكتب الأخرى.

ثم قال: وأما الإعجاز بصرف الناس عن معارضته، فظاهر أيضا إذا اعتبر، وذلك أنه ما من صناعة محمودة كانت أو مذمومة إلا وبينها وبين مناسبات خفيّة، واتفاقات حملية، بدليل أن الواحد يؤثر حرفة من الحرف، فينشرح صدره بملابستها، وتطيعه قواه فى مباشرتها، فيقبلها بانشراح صدر، ويزاولها باتساع قلب، فلما دعا اللهُ أهلَ البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم إلى معارضة القرآن، وعجزهم عن الإتيان بمثله، ولم يتصدوا لمعارضته، لم يخف على أولى الألباب أن صارفًا إلهيًا صرفهم عن ذلك، وأى إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزة، فى الظاهر عن معارضته، مصروفة فى الباطن عنها؟» اهـ[1].

مما تقدم تبين أن «الأصفهانى» حين يكشف عن وجه «إعجاز القرآن»، فإنه يراه فى هذا النظم الذى تفرد به على نظام لم تألفه العرب فى كلامها: من شعر، ونظم، وسجع، ونثر.

- والله أعلم -

(١) انظر: الإتقان جـ٤ صـ١٠ - ١٢ القاهرة.

ابن عطية ت ٥٤٢ هـ ورأيه فى الإعجاز [١]:

لم يؤلف «ابن عطية» كتابا مستقلا فى الإعجاز، ولكن حينما ألف تفسيره ضمّن مقدمته الحديث عن «القرآن» وفضائله، وعن الآراء التى قيلت فى جواز التفسير، ثم عرض لإعجاز القرآن، وللوجوه التى قيلت حوله ثم ذكر رأيه فى ذلك:

يرى «ابن عطية» أن «إعجاز القرآن فى نظمه وصحة معانيه، وتوالى فصاحة ألفاظه»: فهو إذًا يجعل كل هذه الأشياء وجها للإعجاز، وهو بهذا يلتقى مع بعض العلماء الذين سبقوه ممن نظروا فى الإعجاز، ولنستمع إليه وهو يقول: «اختلف الناس فى إعجاز القرآن بم هو ؟

١ - فقال قوم: إن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات، وإن العرب كلفت فى ذلك مالا يطاق، وفيه وقع الإعجاز.

٢ - وقال قوم: إن التحدى وقع بما فى كتاب الله تعالى من الأنباء الصادقة، والغيوب المسدودة» اهـ [٢].

ثم يقول: «والصحيح الذى عليه الجمهور، والحذاق فى وجه إعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه، وتوالى فصاحة ألفاظه، وذلك أن الله أحاط بكل شىء علما، وأحاط بالكلام كله، فإذًا ترتيب اللفظة من «القرآن» من أوله إلى آخره، -ومعلوم ضرورة أن أحدا من البشر لا يحيط بذلك -، فبهذا جاء نظم القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة» اهـ [٣].

- والله أعلم -

(١) هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربى من «محارب قيس» الغرناطى، أبو محمد، من أهل غرناطة، أحد العلماء الأفذاذ، والمفسرين الأجلاء، عارف بالأحكام والحديث، ولى قضاء «المرية» وكان يكثر الغزوات فى جيوش الملثمين، توفى «بلورقة» عام ٥٤٢ هـ وله عدة مصنفات منها: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، فى عشرة مجلدات، وبرنامج فى ذكر مروياته، وأسماء شيوخه، انظر ترجمة ابن عطية فى: الأعلام للزركلى جـ٤ صـ٥٣، ونفح الطيب صـ٥٨٥، وقضاة الأندلس صـ١٠٩، وبغية الملتمس صـ٣٧٦، والمعجم لابن الأبار صـ٢٥٩، وكشف الظنون صـ٤٣٩، ١٦١٣، وبغية الوعاة صـ٢٩٥.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطى جـ٤ صـ٧ ط القاهرة. (٣) انظر: الإتقان للسيوطى جـ٤ صـ٨ ط القاهرة.

القاضى عياض ت ٥٤٤هـ ورأيه فى الإعجاز[١]:

لم يؤلف «القاضى عياض» كتابا مستقلا فى «إعجاز القرآن»، إلا أنه تعرض فى كتابه «الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى» لإعجاز القرآن .

إذًا فما وجوه الإعجاز عند القاضى عياض؟

أقول: تتلخص وجوه الإعجاز عند «القاضى عياض» فى أربعة أشياء :

الأول: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة لعادات العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، وفرسان هذا الكلام، قد خصوا من البلاغة والحكم مالم يختص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من فصل الخطاب ما يقيد الألباب، ولهم الحجة البالغة، والقوة الدامغة، لا يشكون أن الكلام طوع مرادهم، والبلاغة ملك قيادهم، فما راعهم إلا رسول كريم، بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، أحكمت آياته، وفصلت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتظافر إيجازه وإعجازه، وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبادرت فى الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه، واعتدل على إيجازه حسن نظمه، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه، وهم -أى العرب - أفصح ما كانوا فى هذا الباب مجالا، وأشهر فى الخطابة حالا، وأكثر فى السجع والشعر ارتجالا، وأوسع فى الغريب واللغة مقالا[٢].

---

(١) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبى، أبو الفضل، من أشهر علماء المغرب، وإمام أهل الحديث فى وقته، وكان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولد فى «سبتة» بالمغرب، وولى قضاءها، ثم قضاء «غرناطة» توفى بمراكش عام ٥٤٤هـ وله عدة مصنفات منها : الشفابتعريف حقوق المصطفى، والغنية فى ذكر مشيخته، وترتيب كتاب «المدارك وتقريب المسالك فى معرفة أعلام مذهب الإمام مالك»، وشرح صحيح مسلم، ومشارق الحديث فى الأنوار، والإلماع إلى معرفة أصول الرواية، وتقييد السماع فى مصطلح الحديث إلخ . انظر ترجمته فى: الأعلام للزركلى جـ٥ صـ٢٨٢ .
وقضاة الأندلس صـ١٠١ ، والفهرس التمهيدى صـ٣٦٨ وبغية الملتمس صـ٤٢٥ ، والمعجم لابن الأبار صـ٢٩٤ وأزهار الرياض جـ١ صـ٢٣ ، وجذوة المقتبس صـ٢٧٧ ومفتاح السعادة جـ٢، صـ١٩ ، ووفيات الأعيان جـ١ صـ٣٩٢.

(٢) انظر : الشفا للقاضى عياض جـ١ ص٢١٧ القاهرة .

فجاء «القرآن الكريم» بهم صارخاً فى كل حين، ومقرِّعًا لهم على رءوس الملأ أجمعين، فقال الله تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

الثاني: صورة نظمه العجيب، والأسلوب القريب المخالف لأساليب العرب، ومناهج نظمها ونثرها، ولم يرد قبله، ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه، بل حارت فيه عقولهم، ولم يهتدوا إلى مثله فى جنس كلامهم من نثر، أو نظم، أو سجع، أو رجز، أو شعر»(١).

الثالث: ما انطوى عليه، أى القرآن الكريم من الإخبار بالمغيبات على الوجه الذى أخبر كقوله تعالى:

﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٧].

وقوله: ﴿ الم ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ﴾ [الروم: ١ - ٤].

وقوله: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ١ - ٣].

فقد تحقق كل ما أخبر به النبى - صلى الله عليه وسلم - عن طريق القرآن، فدخل - صلى الله عليه وسلم - المسجد الحرام فاتحا، وغلبت الروم فارس فى بضع سنين، ودخل الناس فى دين الله أفواجا»(٢).

الرابع: ما أنبأ به القرآن من أخبار القرون السابقة، والأمم البائدة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلاّ الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم

(١) انظر: الشفا جـ ١ صـ٢١٨.
(٢) انظر: الشفا جـ١ صـ٢١٨ ط القاهرة.

ذلك فيورده ﷺ على وجهه، ويأتى به على نصه، فيعترف العالم بصحته وصدقه، وأن مثله لم ينله إلا بتعلم، وقد علموا أنه ﷺ أمىٌّ لايقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة قط، ولم يغب عنهم أية فترة زمنية، ولا جهل حاله أحد من قومه[١].

ثم يذكر «القاضى عياض» وجها آخر من وجوه الإعجاز فيقول :

«ومنها الروعة التى تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه، والهيبة التى تعتريهم عند تلاوته، وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل إسلامهم وبعده، فمنهم من أسلم لها لأول وهلة، وآمن به، حكى فى الصحيحين عن «جبير بن مطعم» قال : سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالطور – أى بسورة الطور – فلما بلغ هذه الآية :

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]

كاد قلبى أن يطير»[٢].

– والله أعلم –

---

(١) انظر: الشفا جـ١ ص ٢١٩ ط القاهرة.

(٢) انظر: الإتقان للسيوطى جـ٤ ص ١٧ ط القاهرة.

المراكشى ت ٧٢١ هـ ورأيه فى إعجاز القرآن الكريم[١]:

يقول المراكشى :

«الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكر فى علم «البيان» وهو ما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى، وعن تعقيده، ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال.

ولأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه، وإلا لكانت قبل نزوله معجزة، ولا مجرّد تأليفها، وإلا لكان كل تأليف معجزا، ولا إعرابها، وإلا لكان كل كلام معرب معجزا، ولا مجرد أسلوبه، وإلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا، ولكان هذيان مسيلمة معجزاً.

وليس إعجازه بالصرف عن معارضتهم؛ لأن تعجبهم كان من فصاحته، ولأن «مسيلمة»، «وابن المقفع، والمعرّى» قد تعاطوها، فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع، وتنفر منه الطباع، ويضحك منه فى أحوال تركيبه.

وبها - أى بتلك الأحوال - أعجز البلغاء، وأخرس الفصحاء.

فعلى إعجازه دليل إجمالىّ، وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى، ودليل تفصيلىّ، مقدمته التفكير فى خواصّ تركيبه، ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شىء علما» اهـ[٢].

من هذا يتبين أن «المراكشى» يعتبر من القائلين بأن «إعجاز القرآن» إنما هو فى نظمه الذى جاء على صورة فريدة أعجزت الإنس والجن جميعا.

- والله أعلم -

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدى المراكشى، المعروف بابن البناء ت عام ٧٢١ هـ.
(٢) انظر: الإتقان جـ٤ صـ٩ بتحقيق محمد أبو الفضل ط القاهرة.

الرافعى ت ١٣٥٦ هـ ورأيه فى إعجاز القرآن [1]:

من يقرأ كتاب الرافعى «إعجاز القرآن» يجده يحصر وجوه الإعجاز فى ثلاثة أشياء:

أ - تاريخه.

ب - أثره الإنسانى.

جـ - فصاحته.

أ - أما عن تاريخ القرآن:

فالرافعى يريد بذلك نزول «القرآن» فى تلك الفترة من حياة الأمة العربية، والتى بلغ فيها شأن اللغة العربية الغاية القصوى، ووصل أثر الكلمة فى النفس الإنسانية مداه، فكان مجىء «القرآن» فى تلك الفترة بالذات وجهًا بارزًا من وجوه الإعجاز.

ب - وأما عن أثره الإنسانى:

فيحدث «الرافعى» عن أثر الرسالة، وقوة فاعليتها فى الأمة العربية فيقول:

ما عدا «القرآن» أن سفه أحلامهم، ونكس أصنامهم، وأزرى عليهم وعلى آبائهم الأولين، وقام على رءوسهم بالتقريع والتأنيب، وهم أهل الحميّة والحفاظ . . . .

ولعمرك إن هذا لعجيب، وليس أعجب منه إلا أن أول جيل انسلّ من هؤلاء القوم كان هو الذى تناول مفتاح العالم، فأداره فى أقفال الأرض، وقد

(١) هو: مصطفى بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعى، مولده ووفاته بطنطا إحدى المدن المصرية، وقد أصيب بصمم، وهو من كبار الكتّاب، ومن العلماء بالأدب والشعر، ونثره يعتبر من الطراز الأول توفى عام ١٣٥٦ هـ وله عدة مصنفات منها: ديوان شعر «ثلاثة مجلدات»، وتاريخ آداب العرب «مجلدان»، وإعجاز القرآن، وتحت راية القرآن، ورسائل الأحزان، والمساكين، وأوراق الورد، وحديث القمر، والمعركة فى الردّ على كتاب الدكتور طه حسين فى الشعر الجاهلى إلخ . . .

انظر ترجمته فى: الأعلام للزركلى جـ٨ صـ١٣٧، والمنتخب من آدب العرب جـ١ صـ٥٥، ومعجم المطبوعات العربية والمصورة صـ٩٢٦، والمقتطف صـ٧٢، ٣٥٢.

خرج للغاية التى جاء بها «القرآن»، وكأنه دار معها فى الأصلاب دهرا طويلا، حتى أحكمته الوراثة الزمنية، وردت عليه من الطباع مالا يتهيأ إلا فى سلالة وجيل بعد جيل من قوم مرّوا منذ أولهم فى أدوار الارتقاء على سنن واضح، وطريق منهج لم ينتقض لهم فى أثناء ذلك طبع من طباع الاجتماع، ولا التوت طريقه، ولا سقطت مروءة، ولا ضلّ عقل، ولا غوت نفس، ولا عرض لهم ببغى، ولا أفسدتهم عادة، أين ذلك كله من قوم كانوا بالأمس عاكفين على الأوثان؟، ويأكل بعضهم بعضا، ولهم العادات المرذولة، والعقائد السخيفة، والطباع المجموجة، كحمية الأنف، واستقلال النفس، وما كان من عكس ذلك كالتسليم للعادات، والانقياد لطبيعة التاريخ، والمضى على ما وجدوا، ثم الموت على ما ولدوا؟»(١).

جـ - وأما عن فصاحته:

فيقول «الرافعى»: «ولولا أن «القرآن» قد ملك سرّ هذه الفصاحة، وجاءهم منها بما لا قبل لهم بردّه، ولا حيلة لهم معه، مما يشبه على التمام أساليب الاستواء فى علم النفس فاستبدّ بإراداتهم، وغلب على طباعهم، وحال بينهم وبين ما نزعوا إليه من خلافتهم، حتى انعقدت قلوبهم عليه، وهم يجهدون فى نقضه، واستقاموا لدعوته وهم يبالغون فى رفضها.

فكانوا يفرون منه من كل وجه، ثم لا يفقهون إلا إليه؛ إذ يرونه أخذ عليهم - بفصاحة، وإحكام أساليبه - جهات النفس العربية، والمكابرة فى الأمور النفسية، لا تتجاوز أطراف الألسنة، فإن اللسان وحده هو الذى يستطيع أن يتبرأ من الشعور، ويكابر فيه، فلو أن هذا القرآن غير فصيح، أو كانت فصاحته غير معجزة فى أساليبها التى ألقيت إليهم لما نال منهم على الدهر منالا، ولخلا منه موضعه الذى هو فيه، ثم لكانت سبيله بينهم سبيل القصائد والخطب والأقاصيص، وهو لم يخرج

(١) انظر: إعجاز القرآن للرافعى صـ١٧٩ ط القاهرة.

عن كونه فى الجملة كأنه موجود فيهم بأكثر معانيه قبل أن يوجد بألفاظه وأساليبه، ثم لنقضوه كلمة كلمة، وآية آية، دون أن تتخاذل أرواحهم أو تتراجع طباعهم، ولكان لهم وله شأن غير ما عرف، ولكن الله بالغ أمره، وكان أمر الله قدرا مقدورا»[١].

– والله أعلم –

(١) انظر : إعجاز القرآن للرافعى صـ ١٨٠ فما بعدها ط القاهرة.

الرأى الذى رأيته فى إعجاز القرآن الكريم

فإن قيل : نريد أن تبين لنا رأيك فى الإعجاز ؟

أقول : إننى أرى ما رآه أهل التحقيق من قبل، وذلك: أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال مثل:

١ - نظمه البديع المخالف لكل نظم معهود فى كلام العرب.

٢ - أسلوبه البديع المخالف لجميع الأساليب.

٣ - الوفاء بالوعد المدرك بالحسّ والعيان.

٤ - الإخبار عن المغيبات التى لا يمكن لأى فرد مهما كان أن يطلع عليها إلا بوحى من الله تعالى.

٥ - ما تضمنه «القرآن» من العلوم المختلفة التى بها قوام الأنام.

٦ - اشتمال «القرآن» على الحكم البليغة.

٧ - الإخبار عن بعض الأمور التى تقدمت منذ نشأة الدنيا إلى وقت نزوله، وهذا لم تجر العادة بصدوره ممن لم يقرأ كتب السابقين، ولم يتعلم بأية وسيلة من وسائل التعليم، ولم يختلط بأهل الكتب السابقين.

٨ - الروعة التى له فى قلوب المسلمين وأسماعهم.

٩ - جمعه بين صفتى الجزالة والعذوبة، وهما كالمتضادين لا يجتمعان فى كلام البشر؛ لأن الجزالة من الألفاظ التى لا توجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة.

والعذوبة صفة تضاد الجزالة، وهى السلاسة، والسهولة.

فمن نحا نحو «الجزالة» فإنما يقصد الفخامة والروعة فى الأسماع، مثل: الفصحاء من الأعراب، وفحول الشعراء.

ومن نحا نحو «العذوبة» فإنما يقصد كون الكلام في السماع أعذب وألذ، مثل : أشعار المخضرمين ونحن نرى أن «القرآن الكريم» قد جمع كلتا الصفتين، وذلك من أعظم وجوه البلاغة والإعجاز.

فالقرآن الكريم جمع ذلك كله، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع، بل إنه يشتمل أيضا على غير ذلك مما لم يسبق من أقوال مثل:

١ - إذا تتبعت «القرآن» وجدت ألفاظه مصنوعة بشكل غريب، وعلى هيئة عجيبة بحيث تصلح أن تكون خطابا لجميع الناس على اختلاف عقولهم، ومداركهم، وثقافاتهم، فهي طريقة في التعبير اختص بها «القرآن»، فلا سبيل لأحد من الناس إلى سلوكها مهما كان ذا قدم راسخة في العربية وعلومها.

٢ - إذا تأملت الكلمات التى تتألف منها الجمل القرآنية تجدها تمتاز بجمال وقعها في السمع، وباتساقها الغريب في المعنى الذى يراد منها.

٣ - إذا تأملت الجملة القرآنية فإنك تجدها مؤلفة من كلمات، وحروف، وأصوات يستريح لها السمع، فلا تنافر بين حروفها، ولا غرابة في ألفاظها، بل ستجد اتساقا وائتلافا يسترعى سمعك.

ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي متحدة الأوزان بيتا بيتا، وشطرا شطرا، ثم لا يلبث سمعك أن يمجها، وطبعك أن يملها إذا أعيدت وكررت عليك بتوقيع واحد بينما أنت مع «القرآن» أبداً في لحن متنوع متجدد، تنتقل فيه من لذة إلى أخرى، وهكذا ترى الجمال اللغوى ماثلا أمامك في مجموعة مختلفة ومؤتلفة، لا كركرة، ولا ثرثرة، ولا تنافر، ولا تناكر.

وهكذا ترى كلامًا ليس بالحضريّ الفاتر، ولا بالبدوى الخشن، بل تراه وقد امتزجت فيه جزالة البادية وفخامتها، برقة الحاضرة وسلاستها.

- والله أعلم -

القول بالإعجاز بالصرفة، والرد عليه:

عرضنا فيما سبق لأقوال العلماء حول إعجاز «القرآن الكريم» مثل: إحكام نظمه، وروعة أسلوبه، ودقة معانيه، إلى غير ذلك من الأمور التى عدّها العلماء وجوهًا للإعجاز.

والآن أعرض لبعض الأقوال التى ردت إعجاز «القرآن الكريم» إلى «الصرفة» ثم أردّ على هذه الأقوال وأبين بطلانها.

ولعل أول من فتح باب القول بالإعجاز بالصرفة هو «أبو إسحاق إبراهيم النظّام» أحد رءوس المعتزلة، وإليه تنسب فرقة النظّامية، وهو شيخ الجاحظ، توفى النظّام سنة بضع وعشرين ومائتين هجرية.

يقول «الشهرستانى»:

«وزعم النظّام أن إعجاز «القرآن» بالصرفة؛ أى أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكن عاقهم أمر خارجى»اهـ[1].

وقد قال بهذا القول كل من:

١- الشريف المرتضى:

حيث عدّ الصرف فى ذاته أمراً خارقًا للعادة يشهد للرسول و صدقه، كما تشهد سائر المعجزات، و لنستمع إليه حيث يقول:

«بل صرفهم - أى الله - بأن سلبهم العلوم التى يحتاج إليها فى المعارضة، فهذا الصرف خارق للعادة فصار كسائر المعجزات» اهـ[2].

---

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستانى جـ١ صـ١٤٢

(٢) انظر: الملل والنحل للشهرستانى الهامش جـ١ ص١٤٣ ط القاهرة.

٢ - الجاحظ ت ٢٥٥ هـ :

من يستقرئ أقوال الجاحظ حول «إعجاز القرآن» يجد فى بعض أقواله القول بالصرفة ، علمًا بأنه كان دائمًا من القائلين بإعجاز القرآن ببلاغته ، ونظم بيانه»[١] .

٣ - ابن سنان الخفاجى ت ٤٦٦ هـ :

يرى «ابن سنان» أن أسلوب القرآن لم يبعد كثيرًا عن فصيح الكلام المختار من كلام العرب ، وأن الإعجاز الذى وقع من العرب إزاء القرآن إنما جاء من جهة أنهم سلبوا العلوم التى كانوا يتمكنون بها من معارضته» اهـ[٢] .

من هذا وغيره يمكن تفسير احتجاج القائلين بالصرفة بما يلى :

أ - أن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة مع توفر الأسباب فى حقهم من التقريع بالعجز ، والتحدى بالإعجاز .

ب - أن الله سلب العرب العلوم التى يتوقف عليها معارضة «القرآن»، وذلك بعد أن كانت العلوم حاصلة لهم على جهة الاستمرار، ثم أزالها الله عنهم ومحاها من أفئدتهم، أو أن تلك العلوم كانت حاصلة لهم، غير أن الله تعالى صرف دواعيهم عن تجديدها حتى لا تحصل المعارضة .

ويمكن الردّ على هذه الدعاوى الباطلة بما يلى :

أولاً: انهم لو صرفوا عن المعارضة مع تمكنهم منها لعلموا ذلك من أنفسهم بالضرورة ، ولميزوا بين أوقات المنع ، وأوقات التخلية ، ولو علموا لتذاكروا متعجبين من حالهم ، ولو تذاكروا لانتشر عنهم ذلك ، لكن ذلك لم يحصل .

فإن قيل : إنهم أخفوا ذلك حتى لا تقوم الحجة عليهم .

أقول : من تعذر عليه بعض ما كان معذورًا له لا يمكنه إخفاء تعجبه من ذلك .

(١) انظر إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب ص ٣٤٢ ط القاهرة .

(٢) انظر : إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب ص ٣٤٣ ط القاهرة .

ثانيًا : لو كان وجه إعجاز « القرآن» هو الصرفة لما استعظم العرب بلاغة «القرآن» لكنهم قد استعظموه كما نقل عن الكثيرين منهم أمثال : «الوليد بن المغيرة» وغيره .

ثالثًا : لو كان وجه الإعجاز هو الصرفة على معنى سلب علومهم لكان العرب وقت نزول القرآن أقل فصاحة ، وبلاغة منهم قبل نزوله ، لكن حالهم وقت النزول ، وبعده لم تقل عن حالهم قبل النزول في الفصاحة والبلاغة .

رابعًا : لو سلبوا القدرة عن معارضة القرآن لم تبق هناك فائدة للتحدى ؛ لأنهم حينئذ بمنزلة الموتى ، ولكان المعجز هو الله تعالى ، لا القرآن الكريم .

وهذا مخالف للإجماع على أن نسبة الإعجاز للقرآن ، ولما كان الإعجاز بالقرآن باقيًا ولم يزل بزوال زمان التحدى ، ولما كان للقرآن فضل على غيره من أنواع الكلام ، ولما كانت اللوازم كلها باطلة بطل قول الإعجاز بالصرفة[1] .

– والله أعلم –

(١) انظر : منهج الفرقان فى علوم القرآن لمحمد على سلامة جـ ٢ ص ١٧١ فما بعدها ط القاهرة . .

الفصل الثانى

الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

الفصل الثانى الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

قال الله تعالى : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] .

وقال : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩] .

هاتان الآيتان مع قصرهما، وقلة ألفاظهما إلا أنهما يعتبران فى قمة البلاغة الدالة على إعجاز «القرآن الكريم» ؛ حيث تضمنتا الإشارة فى إيجاز إلى كثير من العلوم التى استنبطها العلماء من «القرآن الكريم» .

وهكذا ستظل آيات القرآن كالمؤشر إلى كثير من العلوم، والنظريات التى ستكتشف فى المستقبل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كان قد خفى على الكثيرين إشارات «القرآن» إلى كثير من العلوم، وخصائص المخلوقات، ومنافعها، ومضارها، فالسبب يرجع إلى أنهم قصروا فى إنعام الفكر فى آيات القرآن التى تحثهم على التفكير فى ملكوت الله، وما خلق الله فى السماوات والأرض، وصدق الله حيث قال :

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ وأخرج سعيد بن منصور عن «ابن مسعود» - رضى الله عنه - قال :

«من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه خبر الأولين، والآخرين» .

قال «البيهقى : يعنى أصول العلم[1]، وقال «ابن أبى الفضل المرسى» فى تفسيره : «جمع «القرآن» علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علمًا

(١) انظر : الإتقان للسيوطى جـ ٤ صـ ٢٤ القاهرة.

حقيقة إلا المتكلم بها، - وهو الله تعالى - ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى، ثم ورث عنه معظم ذلك الصحابة - رضى الله عنهم - ، وبخاصة الخلفاء الأربعة، وابن عباس، وابن مسعود، ثم ورثه عنهم التابعون بإحسان، ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه، وسائر فنونه، فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه:

فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه وعددها، وعدد كلماته وآياته، وسوره، وأحزابه، وأنصافه، وأرباعه، وعدد سجداته، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهات، والآيات المتماثلات، من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما أودع الله فيه فسمّوا القراء.

واعتنى النحاة بالمعرب منه، والمبنى من الأسماء، والأفعال، والحروف العامة وغيرها، وأوسعوا الكلام فى الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال، واللازم والمتعدى، ورسم خط الكلمات، وجميع ما يتعلق به حتى إن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمة كلمة.

واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد، ولفظًا يدل على معنيين، ولفظًا يدل على أكثر، فأجروا الأول على حكمه، وأوضحوا معنى الخفيّ منه، وخاضوا فى ترجيح أحد محتملات ذى المعنيين والمعانى، وأعمل كل منهم فكره وقال بمقتضى نظره.

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منها الأدلة على وحدانية الله تعالى، ووجوده وبقائه، وقدمه، وقدرته، وعلمه، وتنزيهه عمّا لا يليق به، وسمّوا هذا العلم بأصول الدين.

وتأملت طائفة منهم معاني خطابه، فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذلك، فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز، وتكلموا في التخصيص، والإخبار، والنص، والظاهر، والمجمل، والمحكم، والمتشابه، والأمر، والنهي، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة واستصحاب الحال، والاستقراء، وسمّوا هذا الفنّ أصول الفقه.

وأحكمت طائفة صحيح النظر، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال، والحرام، وسائر الأحكام، فأسسوا أصوله، وفرعوا فروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطًا حسنًا، وسمّوه بعلم الفروع وبالفقه أيضا.

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة، والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا آثارهم، ووقائعهم، حتى ذكروا بدء الدنيا، وأول الأشياء، وسمّوا ذلك بالتاريخ والقصص.

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم، والأمثال، والمواعظ التي تقلق قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد، والتحذير والتبشير، وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار، فصولا من المواعظ، وأصولا من الزواجر، فسمّوا بذلك الخطباء والوعاظ.

وأخذ قوم مما في آيات المواريث من ذكر السهام وأربابها، وغير ذلك من علم الفرائض، واستنبطوا منها من ذكر النصف، والثلث، والربع، والسدس، والثمن، وحساب الفرائض، ومسائل العول، واستخرجوا منه أحكام الوصايا.

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم، وحسن السياق، والمبادىء والمقاطع، والتلوين في الخطاب، والإطناب والإيجاز، وغير ذلك فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع»[1].

---

(١) انظر الإتقان للسيوطي جـ٤ صـ٢٦ فما بعدها ط القاهرة.

هذه هى نظرة المفسرين المتقدمين إلى آيات القرآن التى اشتملت على مثل هذه الأشياء.

ولكننا إذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا بعض العلماء المتخصصين يتناولون «القرآن» من وجهة نظر علمية صرفة لإثبات ما فيه من إعجاز وسبق علمى أشارت إليه الآيات التى تتفق وما يتوصل إليها العلم فى أوج تقدمه، فهم يرون أن فى «القرآن» إعجازاً لا يجرؤ المكابرون، أو الملحدون أن يجدوا موضعا للتشكيك فيه فآيات «القرآن» التى تتضمن الإعجاز العلمى[1]، تعد دليلا محسوسا على أن «القرآن» من عند الله وهو الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن إعجازه ليس مقصوراً على العرب وفصحائهم، بل يتعدى ذلك إلى البشريه جمعاء فى كل بقاع الأرض، فهى مخاطبة به، ومطالبة بالتسليم له دون نظر إلى جنس، أو لغة، أو لون.

ولكن يخطىء الكثيرون حين يعتقدون أن «القرآن الكريم» ينبغى أن يتضمن كل نظرية علمية، فكلما ظهرت نظرية جديدة التمسوا لها محملا فى آية من «القرآن» يتأولونها بما يوافق هذه النظرية ومنشأ الخطأ فى هذا أن العلوم تتجدد نظرياتها مع الزمن تبعا لسنة التقدم، فلا تزال فى نقض دائم يكتنفه الغموض أحيانا، والخطأ أحيانا أخرى، وتستمر هكذا حتى تقترب من الصواب، وتصل إلى درجة اليقين.

وأية نظرية منها تبدأ بالحدس، والتخمين، وتخضع للتجربة حتى يثبت يقينها، أو يتضح زيفها وخطؤها.

ولهذا كانت عرضة للتبديل، وكثير من القواعد العلمية التى ظن الناس أنها أصبحت من المسلمات تتزعزع بعد ثبوت، وتتقوض بعد رسوخ، ثم يستأنف الباحثون تجاربهم فيها مرّة أخرى، والذين يفسرون «القرآن الكريم» بما يطابق مسائل

(١) هى لا تقل عن ثمانمائة آية كونية، انظر : الإعجاز العلمى للقرآن للدكتور/ محمد أحمد الغمراوى صـ ٨ ط الشعب.

العلم، ويحرصون على أن يستخرجوا منه كل مسألة تظهر فى أفق الحياة العلمية، يسيئون إلى «القرآن» من حيث يظنون أنهم يحسنون صنعا؛ لأن هذه المسائل التى تخضع لسنة التقدم تتبدل، وقد تتقوض من أساسها وتبطل.

فإذا فسرنا «القرآن» بها تعرضنا فى تفسيره إلى التناقض كلما تبدلت القواعد العلمية، أو تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم، أو بيقين يبطل التخمين.

ومما لا شك فيه أن «القرآن الكريم» كتاب عقيدة، وشريعة، وهداية من الله إلى الناس، فهو يخاطب الضمير، فيحيى فيه عوامل النمو والارتقاء، وبواعث الخير والفضيلة.

والهدف من حديثى عن الإعجاز العلمى «للقرآن الكريم» ليس للكشف عن النظريات العلميّة التى تتجدد وتتبدل، وتكون ثمرة للجهد البشرى فى البحث والنظر؛ لأن ذلك كثيراً ما يكون عرضة للتبديل والتغيير.

وإنما الهدف من ذلك هو حث الإنسان على النظر والتفكر فى مخلوقات الله تعالى؛ ليستدل بذلك على أن هذا الكون البديع لا بدّ له من موجد، وذلك الموجد هو الله تعالى القائل:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾

[ق: ٣٨]

والقرآن الكريم يجعل التفكير السديد، والنظر الصائب فى الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله.

إنه يحث الإنسان على التفكير فى مخلوقات الله، قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِى الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

ويحثه على التفكير في نفسه، وفي الأرض التي يعمرها وفي الطبيعة التي تحيط به، قال تعالى :

﴿ أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الروم: ٨].

وقال: ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

[الذاريات: ٢٠ - ٢١]

وقال: ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾

[الغاشية: ١٧ - ٢٠]

إلى آخر تلك الآيات التي تثير في الإنسان الحسّ العلمي للتفكير، والفهم والتعقل ، وسأذكر هنا بعض الأشياء التي حث «القرآن» على التفكير فيها ليتأكد من ذلك الإعجاز العلمي للقرآن؛ لأنه لولا «القرآن» لما استطاع الرسول أن يلفت الأنظار إلى هذه الصنعة البديعة العجيبة، التي لا ينبيء عنها إلا العليم الخبير .

– والله أعلم –

الغرائز ودلالتها على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم :

قال الله تعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾

[طه: ٤٩ - ٥٠]

تعتبر الآية الثانية من أقوى الأدلة على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم؛ لأنها لفتت الأنظار الى جميع الغرائز التى أودعها الله تعالى فى سائر المخلوقات .

فالغريزة : شعور فطرى ، وفعل لا إرادى أوجدها الله تعالى فى الإنسان ، وفى سائر المخلوقات على وجه الأرض؛ لحكمة سامية .

فالله سبحانه خلق كل شىء ، ثم هداه إلى وظيفته التى خلق من أجلها .

قال الله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

[الشمس: ٧-٨]

وقبل الدخول فى الحديث عن الغرائز التى أودعها الله مخلوقاته ، نريد أن نقف على بعض أقوال العلماء السابقين فى فهم هذه الآية ، وهى :

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ [طه: ٥٠] .

وقال «الضحاك بن مزاحم» ت ١٠٥ هـ:

أعطى كل شىء صورته ، وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به المطابقة له ، كاليد للبطش ، والرجل للمشى ، واللسان للنطق ، والعين للنظر ، والأذن للسمع»[(١)] .

ونحن إذا ما أنعمنا النظر فى كلام «الضحاك» نجده - مع إيجازه - يشير إلى كثير من الغرائز التى أودعها الله مخلوقاته ، مثل :

غريزة المحبة ، وغريزة الدفاع عن النفس ، ووظائف بعض الأعضاء .

---

(١) انظر : تفسير فتح القدير للشوكانى جـ٣ صـ٣٦٨ ط القاهرة .

وقال «قتادة بن دعامة السدوسي» ت ١١٨ هـ:

«أعطى كل شيء صلاحه، وهداه لما يصلحه»[(١)]، فهذا الكلام وإن كان أوجز من كلام «الضحاك» إلا أنه أشار إلى الغرائز الآتية:

غريزة المحبة، وغريزة الخوف، وهاتان الغريزتان: هما أهم الغرائز الموجودة في سائر المخلوقات، بل لعل مردّ بقية الغرائز إليهما.

وقال الفراء ت ٢٠٧ هـ:

«المعنى: خلق للرجل المرأة، ولكل ذكر ما يوافقه من الإناث»[(٢)].

ومن ينعم النظر في كلام «الفراء» يجده يشير إلى غريزة واحدة وهي غريزة التناسل، وبعد أن وقفنا على أقوال المفسرين، وفهمهم لمعنى هذه الآية الكريمة أرى أن هذا كلام سديد لا غضاضة عليه، إلا أنه يحتاج إلى نوع من الإسهاب، والإطناب، وبيان كل غريزة على حدة، والتحدث عن وظيفة كل عضو بمفرده؛ كي يتجلى من خلال ذلك عظمة الموجد، والمبدع، وهو الله تعالى.

واعلم أيها المسلم أنه لن يوفق لتذوق الإعجاز العلمي للقرآن الكريم إلا من رزقه الله تعالى حسًّا مرهفا، وذوقا رفيعا، وحساسية شفافة، يتوج ذلك إيمان عميق بالله تعالى، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

[الأنفال: ٢ - ٤]

أما غلاظ القلوب الذين حرموا مثل هذه الأحاسيس فإنهم لن يتأثروا بالحديث عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، بل قد يعتبرون ذلك محض هراء، فهؤلاء

(١) انظر: تفسير فتح القدير للشوكاني جـ٣ صـ٣٦٨ ط القاهرة.
(٢) انظر: تفسير فتح القدير للشوكاني جـ٣ صـ٣٦٩ ط القاهرة.

محرومون؛ لأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة؛ لأن الحجارة منها ما يتفجر فيخرج منه الماء، ومنها ما يهبط من خشية الله.

ونصيحتى لهؤلاء المحرومين أن يأخذوا أنفسهم ويروضوها شيئا فشيئا على التقرب من الملك الديان، وخير علاج لهم هو الإكثار من قراءة «القرآن الكريم» بقلب مخلص، مع محاولة التفكر فى آياته؛ ليتفهموا بعض معانيه، إنهم إن فعلوا ذلك بإخلاص ستلين قلوبهم بإذن الله تعالى، وتتملكهم خشية الله، ويستحوذ عليهم خوف الله تعالى، عندئذ سترق قلوبهم، ويزكو حسهم، ويكونون ممن قال الله فيهم :

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٧-٩].

— والله أعلم —

غرائز الإنسان، ودلالتها على الإعجاز العلمي للقرآن :

في بداية حديثي عن الغرائز يجدر بنا أن نتحدث أولاً عن «الغرائز» التي أودعها الله الإنسان، وذلك لأحد أمرين :

الأول : لأن المقصود بهذا البحث أولا وأخيرا هو الإنسان.

الثاني : الاهتمام بشأن الإنسان؛ لأن الله فضله وكرمه على سائر المخلوقات، كما قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (٧٠) ﴾ [الإسراء : ٧٠].

ويبدو لي أن الغرائز التي أودعها الله في كل عالم من العوالم مهما تشعبت فإن مردّها إلى أحد غرائز ثلاث وهي :

١ – غريزة المحبة.

٢ – غريزة الخوف.

٣ – غريزة العاطفة.

وأنا هنا لا يمكنني التحدث عن كل غريزة بالتفصيل في سائر المخلوقات؛ لأن ذلك يستدعي وقتا طويلا، ولكن حسبي أن أشير الى هذه الغرائز حسبما يتسع له المقام :

غريزة المحبة عند الانسان ودلالتها على الإعجاز العلمي للقرآن :

لقد أشار «القرآن الكريم» في غير موضع إلى غريزة «المحبة» في الإنسان، من ذلك قوله تعالى :

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ [آل عمران : ١٤].

لقد تضمنت هذه الآية الإشارة إلى غريزة المحبة فى الإنسان، وأثبتت أنه يحب فى حياته الأصناف المتعددة الآتية :

أولاً: حبه للنساء، وحب النساء ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الحبّ المشروع بالطرق السليمة التى بينها لنا الشرع الحنيف، وهو «النكاح الصحيح» الذى يحفظ على الإنسان نسله وكرامته.

والقسم الثانى : الحب غير المشروع، وهذا هو الذى انحرف فيه الكثيرون من الذين يجرون وراء شهواتهم، وإشباع غرائزهم، فالإنسان السعيد هو الذى يوجّه هذه الغريزة أعنى: غريزة المحبة الوجهة الصحيحة، فالدين الإسلامى حينما حرم الزنا واللواط، وسائر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، إنما حرمها لما فيها من أضرار بالغة: منها الصحية، والأخلاقية، والاجتماعية، وفى الوقت نفسه نجده أباح الزواج بالطرق الشرعية السليمة.

ثانياً: حبه لبنيه :

وتلك عاطفة طبيعية، فالإنسان يحب ولده وهو لا يدرى لماذا يحبه؟! لعله يجد فيه امتداداً لحياته من بعده، يشير الى هذا المعنى قول الله تعالى على لسان نبيه «زكريا»:

﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ ﴾ [مريم: ٥ - ٦].

ولكن ينبغى على الآباء أن لا تخرجهم عاطفة حبهم لأبنائهم عن حدود الشرع، فينبغى عليه أن يوجههم الوجهة الإسلامية التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة، كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم: ٦].

ثالثاً : حبه للمال سواء كان ذهباً أو فضة :

ومما لا جدال فيه أن المال عصب الحياة ، ولكن يجب أن يكون حبّ المال عن طريق الكسب الحلال من بيع وشراء إلخ .

أما إذا كان كسب المال بالطرق غير المشروعة فهذا ما نهى الله عنه ، يشير الى ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾[البقرة: ١٨٨] .

رابعًا : حبه لكل من الخيل ، والإبل ، والبقر ، والغنم ، والأرض التى تصلح للزراعة ، ونحن إذا ما نظرنا إلى هذه الأصناف مجتمعة نجد فيها منافع كثيرة للناس ، كما أنها نوع من أنواع الزينة التى يميل إليها الإنسان بطبعه ، ويشير إلى ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[النحل: ٥ - ٨] .

تنبيه: لا يحسبن الإنسان أن غريزة المحبة شرٌّ يغريه بعصيان ربه ، كلاّ بل هى من أجلّ نعم الله على الإنسان ، فما أوجد الله فى الإنسان من حب للنساء والبنين ، إلا ليحافظ على حياته وحياة أبنائه ، ويحفظ النوع البشرى ، ولكن ينبغى على الإنسان أن لا يشغله ذلك الحب عن طاعة الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المنافقون: ٩] .

وما أوجد الله فى الإنسان غريزة المحبة للمال إلا ليسعى على رزقه ورزق أولاده بالكسب المشروع .

أمّا من عبد هواه وخضع لغرائزه ونفسه الأمارة بالسوء فإنه بلاشك ستكون غرائزه نكبة ووبالاً عليه، استمع معي إلى قول الله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

[النازعات: ٣٧ - ٤١]

- والله أعلم -

غريزة عاطفة الأمومة ودلالتها على الإعجاز العلمى للقرآن:

من أجلّ نعم الله على مخلوقاته أنه أنعم قلب الأم بالحب والحنان على أبنائها، وهداها إلى وظيفتها التى خلقها لها، ودفعها بهذا الحب الغريزى إلى تنفيذ ما أعدها له الله تعالى ولذلك فنحن نلحظ جميعا ماتقاسيه «الأم» من الأهوال فى سبيل راحة ولدها وإسعاده، فهى تسهر لينام، وتتعب ليستريح.

ومن أبرز أنواع عاطفة الأمومة أننا نجد «الأم» ترضع ولدها منذ أن يخرج إلى الحياة؛ حتى ينمو ويصبح فى طور آخر، بحيث يستطيع الاستغناء عن لبن أمه بأنواع أخرى من مقومات الحياة.

يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾

[البقرة: ٢٣٣]

ونحن إذا ما أنعمنا النظر فى هذه الآية الكريمة نجدها تشير إلى نوع من الإعجاز العلمى للقرآن الكريم، حيث إن هذه الآية تتعرض لموضوع من أدق وأخطر الموضوعات التى تعرضت للدراسة، والفحص فى مختلف الأزمنة المتعاقبة، ألا وهو موضوع الرضاعة من الأم.

يقول الدكتور «ألكسيس كاريل»:

«إنه يهيب بالأمهات أن يؤدين ما خلقن له، فإن لبن الأم حق طبيعى للطفل، وقد أثبت الفحص الطبى أن عدد الوفيات فى الأطفال الذين يرضعون بطرق صناعية عشرة أضعاف عدد الوفيات فى الذين يرضعون رضاعة طبيعية من أمهاتهم».

ثم يقول: «إن الرضاعة الطبيعية علاوة على أنها تقلل عدد من يموت من الأطفال، فإنها تجعل الطفل أقل مرضًا، كما أنها تمنحه قدرة على الصبر وسكينة النفس، بينما تسبب الرضاعة الصناعية علاوة على أمراض الجهاز الهضمى، بروز

الفك العلوى، وتشوه الأنف، وتفلطح قبوة الفم، مما يؤثر على نبت الأسنان، ويعرض الرضيع لتلوث اللوزتين والبلعوم، والأذن، والجيوب الأنفية، وقد ثبت أن تركيب لبن الأم يجارى حاجات أنسجة الطفل الآخذة فى النمو، ويحتوى على مواد زلالية تشبه فى تركيبها المواد الزلالية التى تكوّن جسم الطفل، وهذه المواد لا تؤدى إلى أية حالات مرضية تحدثها مثل هذه المواد الموجودة فى لبن البقرمثلا، لاختلاف تراكيبها عن تراكيب مواد الطفل، ومقدار هذه المواد وغيرها من: الفوسفور، والجير الموجود فى لبن الأم، وهو على التحقيق أدق ملاءمة لحاجات الطفل من أىّ تلفيق صناعى ممكن، وثدى الأم يوفق توفيقا دقيقا بين خواص اللبن ومقداره، وبين حاجات الرضيع الدائمة التغيير» اهـ[١].

— والله أعلم —

(١) انظر : كتاب الله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل صـ ١٤٨ ط بيروت ١٩٧٣ م.

نفس الإنسان ودلالتها على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم:

قال الله تعالى:

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

[الذاريات: ٢٠ - ٢١]

هذه الآية الكريمة تلفت نظر بنى الإنسان؛ ليتفكروا فى أنفسهم؛ أى فى هذه الخلقة البديعة التى ليست على مثال سبق؛ ليستدلوا بذلك على أن هذا النظام الدقيق المنقطع النظير لا بد أن يكون له موجد، وذلك الموجد هو الله تعالى الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما.

ونحن إذا ما نظرنا إلى «القرآن الكريم» نجده حافلا بالآيات القرآنية التى تنص على الأطوار التى مر بها خلق الإنسان، من أول لحظة الحمل، حتى يخرج إلى الدنيا بشراً سويًا، بل حتى يتوفاه الله تعالى، فمن هذه الآيات قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾

[المؤمنون: ١٢ - ١٤]

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾

[الحج: ٥]

إلى غير ذلك من الآيات التى تبين أطوار خلق الإنسان.

ونحن هنا نريد أن نتحدث عن هذه الأطوار كل طور على حدة، فأقول وبالله التوفيق :

الطور الأول :

يحدثنا عنه القرآن، فيقول : ﴿ هوَ الَّذى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾[غافر : ٦٧].

ويقول : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ من نُّطْفَةٍ ﴾ [الإنسان : ٢].

ويقول: ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ من مَّاءٍ دَافِقٍ ﴾ [الطارق :٥، ٦].

ويقول : ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ﴾[العلق : ٢].

هذه النصوص تبدو فى ظاهرها متضاربة :

إذ بعضها ينص على أن الإنسان بدأ خلقه من تراب، وبعضها ينص على أن بدء خلق الإنسان من ماء دافق أى من نطفة، والبعض الآخر يقرر أن الإنسان خلق من علق، ولكن بإنعام النظر فى هذه النصوص وغيرها يتبين أنه لا تضارب، ولاتعارض بينها؛ وبخاصة لأنها قول الله الحكيم الخبير.

وبيان ذلك أننا إذا ما نظرنا إلى أبينا «آدم» عليه السلام الذى هو أصل بنى الإنسان، بدليل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾[النساء : ١].

نجد أن «آدم» خلقه الله من تراب يدل على ذلك قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ ﴾[ص: ٧١].

و هذا البشر هو «آدم» عليه السلام ، ومن هنا يتبين أن المراد من قوله تعالى :

﴿ هوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾

أى: خلق أصلكم وهو «آدم» عليه السلام، ويجوز أن يكون معنى آخر، وهو أننا إذا ما نظرنا إلى ما نأكله، ونتغذى به سواء كان نباتا أو حيوانا نجد النبات يخرج من الأرض، والحيوان يتغذى بالنبات، ثم يتحول بعض ذلك الطعام إلى «نطفة».

والطور الثانى: «النطفة»:

التى هى الماء الدافق الذى يخرج من بين صلب الرجل، وترائب المرأة، يشير إلى ذلك قول الله تعالى:

﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧ ﴾ [الطارق: ٥ - ٧].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ [الإنسان: ٢].

ومعنى «أمشاج»: أخلاط: أى الإنسان خلقه الله تعالى من ماء الرجل، المختلط بماء المرأة وبيان ذلك أن الإنسان خلقه الله من الحيونات المنويّة الموجودة فى ماء الرجل وبويضة المرأة الموجودة فى مائها الذى يخرج من المبيض.

قال الأستاذ محمود أمين:

«إن الماء الدافق الذى أشار إليه «القرآن الكريم» يتدفق من المرأة كما يتدفق من الرجل، فهما ماآن دافقان من الزوجين، ولكنهما لا يلتقيان فى الرحم كما يؤكد الأطباء، بل يلتقى منهما الحيوان المنوى فقط بالبويضة، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾: أى أخلاط، فلقد اختلط أحدهما بالآخر، واندمج فيه بدخول ونشوب الحيوان المنوى فى البويضة فصارا شيئا واحداً هو العلقة كما وصفها الله تعالى بقوله: ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾[1].

(١) انظر معجزة القرآن لنعمت صدقى ص١٦٤ - ١٦٥ ط القاهرة.

الطور الثالث : «العلقة»:

والعلقة فى الأصل : هى دودة تسبح فى الماء ، من خواصها أن تمتص دم الانسان .

والعلق الموجود فى منى الرجل ما هو إلا «حيوان منوى» يسبح فى السائل المنوى، فإذا ما التقى الرجل بالمرأة سارع بعض هذا العلق ليلج فى الرحم، فإذا ما التقت علقة ببويضة المرأة التى هى صغيرة جداً لا ترى إلا بالمجهر علقت بها؛ أى دخلت فيها وتعلقت بها فأصبحت علقة ، ثم تتعلق بعد ذلك بجدار الرحم وتبدأ فى امتصاص غذائها منه؛ لتنمو وتتشكل»[1] .

من هذا يتبين أن المراد بالعلقة أحد أمرين :

الأول : ما بالنطفة من حيوانات منوية تسبح فيها حتى تتعلق ببويضة المرأة .

والثانى : ما وقع بعد التلقيح من اندماج واحدة من الحيوانات المنوية ببويضة المرأة حتى أصبحت عالقة بجدار الرحم .

الطور الرابع : المضغة :

والمضغة : هى شىء يشبه قطعة صغيرة من اللحم الممضوغ، ولكنها فى الواقع ليست لحما، إنما هى خلايا متصلة ببعضها .

قال الدكتور أحمد فاضل راتب :

تترتب هذه الخلايا إلى كرتين، ويزداد حجمهما بالانقسام، وعند الخط بين هاتين الكرتين يوجد أول شىء يمكن أن يسمّى جنينا وهو عبارة عن جسم مفلطح كمثرىّ الشكل، أو بيضاوىّ الشكل ويسمّى بالقرص الجنينى، وبعد عدة تغييرات فى هذا القرص يبدو كأنه دودة، ثم تكبر هذه الدودة حتى تصير فى حجم المضغة، هذا هو الجزء المخلّق المشار إليه فى قوله تعالى : «من مضغة مخلقة» أما المضغة غير المخلقة فهى الأجزاء الباقية من الكرتين خارج منطقة «القرص الجنينى» وهى التى تكون «المشيمة» : أى الخلاص» اهـ[2] .

---

(١) انظر : معجزة القرآن لنعمت صدقى ص ١٥٧ ط القاهرة.

(٢) انظر : معجزة القرآن لنعمت صدقى صـ ١٧١-١٧٢ ط القاهرة.

من هذا يتبين أن «المضغة المخلقة» هى الجنين، والمضغة «غير المخلقة» هى المشيمة، فلاجنين بلا مشيمة؛ لأنها هى التى تمده بالغذاء من دم أمه، وتمده كذلك بالحرارة اللازمة له، وبكل ما يحفظ حياته، وهى تلازم الجنين فى الرحم وتنمو معه حتى تخرج بعده إلى الدنيا فتبارك الله أحسن الخالقين.

وما أروع ما قال أحد العلماء فى العلقة!:

قال : إن هذه الخلية الواحـدة «العلقة» الملقحـة التى لا قـوام لها، ولا عقل ولا قدرة، ولا إرادة، تبدأ فى الحال بمجرد استقرارها فى الرحم فى عملية بحث عن الغذاء حيث تزودها «اليد الحافظة» بخاصية أكالة تحول بها جدار الرحم حولها بركة من الدم السائل المعدّ للغذاء، وبمجرد اطمئنانها على غذائها تبدأ فى عملية جديدة، عملية انقسام مستمرة تنشأ عنها خلايا، وتعرف هذه الخلية الساذجة التى لا قوام لها، ولا عقل، ولا إرادة، ولاقدرة تعرف ماذا هى فاعلة؟، وماذا هى تريد؟، حيث تزودها «اليد الحافظة» بالهدى، والمعرفة، والقدرة التى تعرف بها وظيفتها، إنها مكلفة أن تخصص كل مجموعة من هذه الخلايا لبناء ركن من أركان هذه العمارة الهائلة، عمارة الجسم الإنسانى، فهذه المجموعة تنطلق لتنشىء الجهاز العصبى، وهذه المجموعة تنطلق لتنشئ الهيكل العظمى، وهذه المجموعة تنطلق لتنشىء الجهاز العضلى، إلى آخر هذه الأركان الأساسية فى العمارة الإنسانية.

ولكن العمل ليس بمثل هذه البساطة، إن هناك تخصصًا أدق، فكل عظم من العظام، وكل عضلة من العضلات، وكل عصب من الأعصاب لا يشبه الآخر؛ لأن العمارة دقيقة الصنع، عجيبة التكوين، متنوعة الوظائف، ومن ثم تتعلق كل مجموعة من الخلايا المنطلقة لبناء ركن من العمارة أن تتفرق إلى طوائف متخصصة، تقوم كل طائفة منها بنوع معين من العمل فى الركن المخصص لها من العمارة الكبيرة، إن كل خلية صغيرة تنطلق وهى تعرف طريقها، تعرف أين هى ذاهبة؟، وماذا هو مطلوب منها؟، ولا تخطىء واحدة منها طريقها فى هذه المتاهة الهائلة،

فالخلايا المكلفة أن تصنع «العين» تعرف أن «العين» ينبغى أن تكون فى الوجه، ولا يجوز أبدا أن تكون فى البطن أو القدم، أو الذراع.

فهى بذاتها حين تنطلق لا تذهب إلا للمكان المخصص «للعين» فى هذا الجهاز الإنسانى المعقد.

فمن ياترى قال لها: إن هذا الجهاز يحتاج إلى «عين» فى هذا المكان دون سواه؟

إنه الله الحافظ الأعلى الذى يرعاها ويوجهها، ويهديها إلى طريقها فى المتاهة التى لاهادى فيها إلا الله.

إنه الله الذى علمها ما يعجز الإنسان عن تصميمه لو وكل إليه تصميم عين أو جزء من عين» اهـ(١).

الطور الخامس: «العظام ثم اللحم» إلخ.

كما قال تعالى:

﴿ فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤].

قال الدكتور «أمين رضا» الأخصائى فى جراحة العظام:

«لقد ثبت فى علم الأجنة أن العظام تنشأ بعد تطور المضغة مباشرة، فإن أول شىء يظهر فى القرص الجنينى هو «الحبل الأول»: أى هذا العمود «الفقرى»، ثم تنشأ عظام الجنين، فلا يلبث أن تنشأ حولها «العضلات» واللحم، وتظهر أجزاء الجسم الجنينى شيئا فشيئا، حتى يصير خلقًا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين»اهـ(٢).

هذه الحقائق العلمية التى لم تعرفها البشرية إلا بعد نزول «القرآن الكريم»، كيف أخبر عنها الرسول النبى الأمىّ فى «القرآن الكريم»؟

---

(١) انظر معجزة القرآن لنعمت صدقى ص١٥٨ ط القاهرة.

(٢) انظر: معجزة القرآن لنعمت صدقى صـ١٦٩ ط القاهرة.

هل كان يشرّح بطون الحوامل ؟

وهل كان يفحص هذه التطورات الدقيقة التى لا ترى إلا بالمجهر؟

وكيف يرى كل هذه الأسرار التى لا تتم إلا فى الظلام؟

إنه «القرآن الكريم» الذى عرف النبى ﷺ عن طريقه هذه الأسرار الدقيقة ؛ كى يتبين للعالم أجمع أن نبينا «محمداً» نبيًا ورسولاً ، وأن «القرآن الكريم» هو المعجزة الخالدة ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وصدق الله حيث قال :

﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ﴾ [الزمر : ٦] .

لقد توصل العلماء إلى أن «الجنين» وهو فى بطن أمه يكون محاطًا بثلاثة أغشية صماء لا ينفذ منها الماء ، ولا الضوء ، ولا الحرارة .

وهذه الأغشية الثلاث أطلق عليها العلماء اسم «المنبارية» ، و«الأمنيونية» ، «والخوربونية»[(١)] .

وصدق الله حيث يقول مرشدا وموجها للنظر فى صنعته الدقيقة ؛ كى يستدل بها على وحدانيته تعالى : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] .

– والله أعلم –

(١) انظر : الله والعلم الحديث ص ١٤٢ بيروت ١٩٧٣م .

غريزة النوم ودلالتها على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الروم : ٢٣] .

ومن أجل نعم الله تعالى على بنى الإنسان «النوم» الذى جعله الله راحة لبدنه ، وعقله ، وسمعه ، وبصره ، وأعصابه .

فبالنوم يسترجع الإنسان قواه البدنية فيصفو عقله ، وتهدأ أعصابه ، وتتجدد خلايا بدنه .

فالنوم آية من آيات الله سبحانه وتعالى ، وهو ضرورة للحياة ، ونعمة من نعم الله ولقد أثبت الطب أن «النوم» ناشىء عن تغييرات كيميائية تحدث من الحركة فى الأنسجة البدنية ، فإذا ما استمرت هذه التغييرات ومنع الإنسان من النوم قهراً أدت إلى الموت[1] .

إن النوم يعيد هذه التغيرات الكيميائية إلى ما كانت عليه قبل الحركة ، إذ بالنوم يسترد الإنسان ما بذله من قوى ، وما فقده من بدنه ، فى سبيل العمل والسعى ، فما النوم إلا وسيلة تعيد إلى الجسم نشاطه وقوته ، كما يعيد إلى العقل صفاءه وقدرته . فكل حىّ لا يحتمل الاستمرار فى العمل بلا راحة ، بل لابدّ له أن يكف عن العمل فترة زمنية ، ينام فيها حتى يستطيع أن يحيا ويفكر .

لقد قرر علماء النبات أنهم بدراسة الأزهار ، والتطورات التى تشملها فى كل وقت اتضح لهم أن النبات ينام كما ينام كل كائن حى ، وأن مشاهد النوم تظهر واضحة جلية فى الأزهار[2] .

أليس فى منافع النوم دلالة واضحة على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم؟!

وصدق الله حيث قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ [الروم : ٢٣] .

– والله أعلم –

---

(١) انظر : معجزة القرآن لنعمت صدقى صـ٢١٢ ط القاهرة .

(٢) انظر : الله والعلم الحديث صـ١١١ ط بيروت ١٩٧٣م .

الماء ودلالته على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٤٨ - ٥٠]

هذه الآيات بعض آيات القرآن التى تدل على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم.

فالله – سبحانه وتعالى – أخبر بأن الماء سبب لاستمرار الحياة، كما أن الحياة لا توجد فى شىء مَّا إلا إذا كان فيه نسبة معينة من الماء، فلا يمكن أن توجد الحياة فى شىء جاف لا يصل إليه الماء.

إن هذا الدم وهو سائل مائى يحمل الغذاء إلى جميع أنسجة الجسم.

إن جميع العمليات الحيوية التى تتم فى جسم الإنسان من إحساس، وتفكير، وانقباض فى العضلات، وحركة فى المفاصل، وسمع وبصر، وغير ذلك لا تتم تفاصيلها إلا بسبب الماء، لذلك فإن أغلبية جسم الإنسان الماء، إذًا فالماء أصل الحياة، وسبب الحياة.

والماء هو الذى يحافظ على الحياة فى كل كائن حىّ من إنسان، وحيوان، ونبات إلخ.

وصدق الله حيث قال : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾

–والله أعلم–

عسل النحل ودلالته على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم :

قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[النحل: ٦٩]

فى هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على «الإعجاز العلمى للقرآن الكريم» ؛ حيث أخبر الله تعالى بأن «النحل» يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وقد عمم الله الشفاء ؛ ليشمل شفاء جميع الأمراض.

والعالم لم يتنبه إلى هذه الآية العلمية إلا فى السنين الأخيرة من القرن الحالى، حيث بدأت الأخبار تتواتر من مختلف أنحاء العلم على ما فى عسل النحل من أعاجيب الطب الوقائى، والعلاجى.

فالعسل هو الغذاء الوحيد المعقم طبيعيا، مثل حليب الأم.

قال الدكتور «زايس» :

«إن عسل النحل يعتبر أحسن علاج للجروح والحروق؛ لأنه مطهر ومضاد للفساد والعفونة، ويستعمل عسل النحل ضد مرض السعال، والنزلات الشعبية، والتهاب المعدة والكلى» اهـ(١).

وقد وضع أحد العلماء الباحثين بعض أنواع مختلفة من الجراثيم فى بيئة من العسل فوجد أنها ماتت فى مدد اختلفت بين بضع ساعات، وبضعة أيام، وعلى ذلك يكون عسل النحل قاتلا للجراثيم.

وعسل النحل يتركب من عناصر مفيدة للجسم منها ماء ١٧٪، سكر ٢٤٪، بروتين ٣٪، حديد، بوتاسيوم، صوديوم، كبريت، زلال، مواد عطرية إلخ(٢).

(١) انظر: معجزة القرآن لنعمت صدقى ص ٨٥ ط القاهرة.
(٢) انظر: معجزة القرآن لنعمت صدقى ص ٨٥ ط القاهرة.

فنظرة واحدة إلى هذا التركيب تكفى؛ لنعرف أهمية العسل العظمى، وفوائده لجسم الإنسان.

يقول الدكتور «عبد العزيز إسماعيل»:

«إن عسل النحل هو سلاح الطبيب فى أغلب الأمراض، واستعماله فى ازدياد مستمر بتقدم الطب، فهو يعطى بالفم، وبالحقن الشرجية، وتحت الجلد، وفى الوريد، ويعطى بصفته مقويا ومغذيا، وضدّ التسمم الناشىء من موادّ خارجية مثل: الزرنيخ، والزئبق، وكذلك ضد التسمم الناشىء من أمراض أعضاء فى الجسم مثل: التسمم البولى الناتج من أمراض الكبد، والمعدة، والأمعاء، وفى الحميات، والحصبة، والالتهاب الرئوى، والسحائى، وفى حالات الذبحة الصدرية، وبصفة خاصة فى الارتشاحات العمومية الناشئة من التهاب الكلى الحاد، وفى احتقان المخ، والأورام المخية» اهـ[1].

ومما روته الصحف بتاريخ ١٠ فبراير سنة ١٩٥٦م أنه توجد امرأة نمساوية، تقيم بلندن تدعى «مسز أوين» تداوى المرضى الذين يئس الأطباء من وجود علاج لهم بقرص النحل» اهـ.

ولا يزال العلماء فى شتى أنحاء العالم يجرون تجاربهم على خواص عسل النحل وفوائده المتعددة.

بل إن منهم من ألف أبحاثا علمية خاصة بفوائد عسل النحل، فهل بعد ذلك دليل على أن «القرآن من عند الله» حيث قال:

﴿ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾ ؟!.

– والله أعلم –

(١) انظر: معجزة القرآن لنعمت صدقى ص ١٥٢ ط القاهرة.

الخاتمة :

تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه تأليف هذا الكتاب :

روائع البيان فى إعجاز القرآن

وذلك بالمدينة المنورة أثناء قيامى بالتدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقد أدّت طبيعة الكتاب أن يكون فى فصلين يسبقهما تمهيد، وتقفوهما خاتمة مع وضع فهرس تحليلى لموضوعات الكتاب.

أسأل الله الحيّ القيوم ذا الجلال والإكرام أن يجعله فى صحائف أعمالى يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلّ اللهم على «سيدنا محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

المؤلف

أ.د/ محمد محمد محمد سالم محيسن

غفر الله له ولوالديه وذريته والمسلمين

المدينة المنورة: الثلاثاء أول رمضان ١٤٠١هـ

أول يولية ١٩٨١م

أهم المراجع

الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى .... ط القاهرة

الإعجاز العلمى للقرآن د /محمد الغمراوى .... ط الشعب

إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى ط بهامش الإتقان للسيوطى ....

إعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب .... ط القاهرة

إعجاز القرآن للرافعى .... ط القاهرة

الأعلام للزركلى .... ط بيروت

إنباه الرواة للقفطى .... ط القاهرة

بغية الوعاة للسيوطى .... ط القاهرة

بيان إعجاز القرآن للخطابى .... ط القاهرة

تفسير الشوكانى .... ط القاهرة

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى .... ط القاهرة

خزانة الأدب للخطيب البغدادى .... ط القاهرة

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى .... ط القاهرة

الشفا للقاضى عياض .... ط القاهرة

كشف الظنون لحاجى خليفة ....

الله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل .... ط لبنان

مرآة الجنان لليافعى ....

معجم الأدباء للبغدادى ....

معجم المؤلفين لعمر كحالة .... ط بيروت

معجم المطبوعات العربية والمصورة لسركيس ....

مفتاح السعادة لزادة .... ط القاهرة

المغنى للقاضى عبد الجبار .... ط القاهرة

الملل والنحل للشهرستانى .... ط القاهرة

نظرات فى القرآن لمحمد الغزالى .... ط القاهرة

نزهة الألباء لابن الأنبارى .... ط القاهرة

النبأ العظيم د / محمد دراز .... ط القاهرة

وفيات الأعيان لابن خلكان .... ط القاهرة

نبذة عن حياة المؤلف

المؤلف

– ولد سنة ١٩٢٩ ميلادية.

– حفظ القرآن الكريم، وجوّده في بداية حياته.

– التحق بالأزهر الشريف بالقاهرة، ودرس: العلوم الشرعية، والإسلامية، والعربية، والقراءات القرآنية المتواترة: السبع و العشر، والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم مثل: رسم القرآن، وضبط القرآن، وعدّ آى القرآن.

– **حصل على:** التخصص فى القراءات، وعلوم القرآن، والليسانس فى الدراسات الإسلامية والعربية، والماجستير فى الآداب العربية، والدكتوراة فى الآداب العربية.

النشاط العلمى العملى:

أولا: عيّن مدرساً بالأزهر عام ١٩٥٢م، وقام بتدريس: تجويد القرآن الكريم، القراءات القرآنية، وتوجيهها، الفقه الإسلامى: العبادات، تاريخ التشريع الإسلامى، تفسير القرآن الكريم، علوم القرآن الكريم، طبقات المفسرين، ومناهجهم، النحو العربى، تصريف الأسماء والأفعال، البلاغة العربية.

ثانيا: عين عضواً بلجنة تصحيح المصاحف بالأزهر سنة ١٩٥٦م.

ثالثا: عين عضواً ضمن اللجنة العلمية التى تشرف على تسجيل القرآن الكريم بالإذاعة المصرية سنة ١٩٦٥م.

رابعا: ناقش وأشرف على العديد من الرسالات العلمية فى الماجستير، والدكتوراة.

خامسا: شارك فى ترقية عدد من الأساتذة إلى أستاذ مساعد، وأستاذ.

سادساً: له أحاديث دينية بالإذاعة السودانية تزيد على مائة حديث.

سابعاً: له أحاديث دينية أسبوعية بإذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية تزيد عن ألف حديث.

ثامناً: انتدب للتدريس بالسودان بجامعتى الخرطوم والجامعة الإسلامية بأم درمان، وبالمملكة العربية السعودية بجامعتى الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض وأبها، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

الإنتاج العلمى:

بعون من الله تعالى صنّف ما يقرب من ثمانين كتاباً فى جوانب متعددة :

١ – القراءت والتجويد .

٢ – التفسير وعلوم القرآن .

٣ – الفقه الإسلامى والعبادات .

٤ – المعاملات .

٥ – الإسلاميات والفتاوى .

٦ – السيرة .

٧ – النحو والصرف .

٨ – اللغويات .

٩ – الغيبيات والمنثورات .

١٠ – الدعوة .

١١ – التراجم .

مذهبه الفقهى : الشافعى .

عقيدته : اهل السنة والجماعة .

منهجه فى الحياة : كان منهجه فى الحياة التمسك بالكتاب والسنة ما استطاع لذلك سبيلا .

توفى : يوم السبت الموافق : الحادى عشر من صفر ١٤٢٢هـ – الخامس من مايو ٢٠٠١م .

دعاؤه : اللهم إنى أسالك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار .

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

شـيوخ المؤلف

حفظ المؤلف القرآن، وجوّده، وتلقى علوم القرآن، والقراءات، والعلوم الشرعية والعربية، عن خيرة علماء عصره.

وهـم:

- حفظ القرآن الكريم على الشيخ: محمد السيد عَزَب.
- جود القرآن الكريم على كل من الشيخ: محمد محمود، والشيخ محمود بكر.
- اخذ القراءات علميا عن كلا من الشيخ عبد الفتاح القاضي، والشيخ محمود دعبيس.
- أخذ القراءات عمليا وتطبيقيا عن الشيخ: عامر السيد عثمان.
- أخذ رسم القرآن وضبطه عن الشيخ: احمد أبو زيت حار.
- اخذ عدّ آى القرآن عن الشيخ: محمود دعبيس.
- أخذ توجيه القراءات عن الشيخ: محمود دعبيس.
- اخذ الفقه الإسلامى عن كل من الشيخ أحمد عبد الرحيم والشيخ محمود عبدالدايم.
- اخذ أصول الفقه عن الشيخ: يس سويلَم.
- اخذ التوحيد عن الشيخ: عبد العزيز عبيد.
- اخذ المنطق عن الشيخ: صالح محمد شرف.
- أخذ تاريخ التشريع الإسلامى عن الشيخ: أنيس عبادة.
- اخذ التفسير عن كل من الشيخ خميس محمد هيبة، والشيخ كامل محمد حسن.
- أخذ الحديث وعلومه عن الشيخ: محمود عبد الغفار.
- أخذ دراسة الكتب الإسلامية عن الشيخ: محمد الغزالى.
- اخذ النحو والصرف عن كلا من الشيخ خميس محمد هيبة، والشيخ محمود حبلص، والشيخ محمود مكاوى.
- اخذ علوم البلاغة عن كلا من الشيخ محمود دعبيس، والشيخ محمد بحيرى.
- اخذ فقه اللغة عن الدكتور حسن ظاظا.
- اخذ أصول اللغة عن الدكتور حسن السيد عون.
- اخذ مناهج البحث العلمى عن الدكتور عبد المجيد عابدين.
- اشرف عليه فى رسالة الماجستير الدكتور أحمد مكى الأنصارى.
- اشرف عليه فى رسالة الدكتوراة الدكتور عبد المجيد عابدين، أكرمه الله.

مصنفات المؤلف

القراءات والتجويد:

١ - إرشاد الطالبين إلى ضبط الكتاب المبين.
٢ - الإرشادات الجليّة فى القراءات السبع من طريق الشاطبية «ثلاثة أجزاء».
٣ - الإفصاح عما زادته الدرة على الشاطبية «جزءان».
٤ - التذكرة فى القراءات الثلاث وتوجيهاتها من طريق الدرة «جزءان».
٥ - التعليق على كتاب النشر فى القراءات العشر.
٦ - التوضيحات الجلية - شرح المنظومة السخاوية.
٧ - التوضيحات الجلية فى القراءات السبع وتوجيهاتها من طريق الشاطبية.
٨ - الرائد في تجويد القرءان «ثلاثة أجزاء».
٩ - الرسالة البهية فى قراءة أبى عمر الدورى.
١٠ - الفتح الربانى فى علاقة القراءات بالرسم العثمانى.
١١ - القراءات وأثرها فى علوم العربية «جزءان».
١٢ - القول السديد فى الدفاع عن قراءات القرآن المجيد فى ضوء الكتاب والسنّة.
١٣ - الكامل فى القراءات العشر المتواترة من طريقى الشاطبية والدرة.
١٤ - المبسوط فى القراءات الشاذة «جزءان».
١٥ - المجتبى فى تخريج قراءة أبى عمر الدورى.
١٦ - المختار - شرح الشاطبية فى القراءات السبع مع توجيه القراءات.
١٧ - المستنير فى تخريج القراءات من حيث اللغة، والإعراب، والتفسير «ثلاثة أجزاء».
١٨ - المصباح فى القراءات السبع وتوجيهها من طريق الشاطبية.
١٩ - المغنى فى توجيه القراءات العشر المتواترة «ثلاثة أجزاء».
٢٠ - المهذب فى القراءات العشر وتوجيهها من طريق طيبة النشر «جزءان».
٢١ - النجوم الزاهرة فى القراءات العشر المتواترة وتوجيهها من طريقى الشاطبية والدرة.
٢٢ - الهادى - شرح طيبة النشر فى القراءات العشر والكشف عن علل القراءات وتوجيهها «ثلاثة أجزاء».
٢٣ - تحقيق شرح الطيبة لـ«ابن الناظم».
٢٤ - تهذيب إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر.
٢٥ - شرح التحفة الجزرية لبيان الأحكام التجويدية.
٢٦ - شرح المنظومة السخاوية فى متشابهات القراءات القرآنية.
٢٧ - شرح طيبة النشر فى القراءات العشر.
٢٨ - علاقة القرآءات بالرسم العثمانى (سلسلة أحاديث).
٢٩ - فى رحاب القراءات.
٣٠ - مرشد المريد إلى علم التجويد.

التفسير وعلوم القرآن :

١ - الهادى إلى تفسير غريب القرآن.
٢ - إعجاز القرآن.
٣ - إعجاز وبلاغة القرآن.
٤ - أعلام حفَّاظ القرآن الكريم (سلسلة أحاديث).
٥ - البرهان فى إعجاز وبلاغة القرآن.
٦ - الروايات الصحيحة فى أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.
٧ - الكشف عن أسرار ترتيب القرآن.
٨ - اللؤلؤ المنثور فى تفسير القرآن بالمأثور «ستة أجزاء».
٩ - تاريخ القرآن.
١٠ - روائع البيان فى إعجاز القرآن.
١١ - طبقات المفسرين ومناهجهم.
١٢ - فتح الرحمن الرحيم فى تفسير القرآن الكريم (أربعة عشر جزءاً).
١٣ - فتح الملك المنان فى علوم القرآن «ثلاثة أجزاء».
١٤ - فتح الرحمن فى أسباب نزول القرآن.
١٥ - فضل قراءة بعض آيات وسور من القرآن مؤيداً بسنة النبى ﷺ.
١٦ - فى رحاب القرآن الكريم «جزءان».
١٧ - فى رياض القرآن (سلسلة أحاديث).
١٨ - معجم حفاظ القرآن الكريم عبر التاريخ «جزءان».
١٩ - معجم علوم القرآن «ثلاثة أجزاء».

فقه وعبادات :

١ - أثر العبادات فى تربية المسلم.
٢ - أحكام الطهارة والصلاة فى ضوء الكتاب والسنَّة «جزءان».
٣ - الإرشادات إلى أعمال الطاعات.
٤ - الترغيب فى الأعمال المشروعة فى ضوء الكتاب والسنَّة.
٥ - الحج والعمرة وأثرهما فى تربية المسلم وإحكام قصر الصلاة وجمعها فى السفر.
٦ - الحدود فى الإسلام فى ضوء الكتاب والسنَّة والكشف عن حكمة التشريع الإسلامى من إقامتها.
٧ - الصلاة فى ضوء الكتاب والسنَّة وأثرها فى تربية المسلم.
٨ - الصيام أحكامه وآدابه وفضائله وأثره فى تربية المسلم.
٩ - العبادات تربى المسلمين والمسلمات على تعاليم الإسلام.
١٠ - العبادات وأثرها فى تربية المسلم فى ضوء الكتاب والسنَّة.
١١ - الفضائل من الأعمال التى تقرب من الله تعالى.
١٢ - المحرمات فى ضوء الكتاب والسنَّة.
١٣ - تأملات فى أثر العبادات، وأعمال الطاعات فى تربية المسلمين والمسلمات.

معاملات :

١ - الأسرة السعيدة فى ظل تعاليم الإسلام.
٢ - الحق أحق أن يُتّبع.
٣ - حقوق الإنسان فى الإسلام.
٤ - حقوق الإنسان (سلسلة أحاديث).
٥ - حكمة التشريع الإسلامى.
٦ - نظام الأسرة فى الإسلام.

تراجم :

١ - أبو عبيد القاسم بن سلام، حياته وآثاره اللغوية.
٢ - أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى، حياته وآثاره.
٣ - تراجم لبعض علماء القراءات.

إسلاميات وفتاوى :

١ - أنت تسأل والإسلام يجيب.
٢ - الثقافة الإسلامية فى ضوء الكتاب والسنّة.
٣ - السراج المنير فى الثقافة الإسلامية «جزءان».
٤ - الفضائل فى ضوء الكتاب والسنّة.
٥ - فى رحاب الإسلام.

سيرة :

١ - الأنوار الساطعة على دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ، وأخلاقه الكريمة الفاضلة فى ضوء الكتاب والسنّة.
٢ - الخصائص المحمدية والمعجزات النبوية فى ضوء الكتاب والسنّة.

نحو وصرف :

١ - النحو الميسّر.
٢ - تصريف الأفعال والأسماء (فى ضوء أساليب القرآن).
٣ - توضيح النحو.
٤ - معجم قواعد النحو، وحروف المعانى.

اللغـويات :

١ - أحكام الوقف والوصل في العربية.
٢ - الكشف عن أحكام الوقف والوصل في العربية.
٣ - المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية «ثلاثة أجزاء».

الغيبيات والمنثورات :

١ - حديث الروح في ضوء الكتاب والسنّة.
٢ - الأدعية المأثورة عن الهادي البشير ﷺ.
٣ - التبصرة في أحوال القبور، والدار الآخرة.
٤ - الدعاء المستجاب في ضوء الكتاب والسنّة.
٥ - موضوعات إسلامية في ضوء الكتاب والسنّة «جزءان».

الدعـوة :

١ - أحاديث دينية وثقافية في ضوء الكتاب والسنّة.
٢ - الترغيب والتحذير في ضوء الكتاب والسنّة.
٣ - الدعوة إلى وجوب التمسك بتعاليم الإسلام.
٤ - ديوان خطب الجمعة وفقا لتعاليم الإسلام.
٥ - سبيل الرشاد في ضوء الكتاب والسنّة.
٦ - في رحاب السنّة المطهرة، سراج لكل واعظ، ومرشد وخطيب.
٧ - منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.
٨ - وصايا ومواعظ في ضوء الكتاب والسنّة.

التحقيق والتصحيح :

١ - منهاج السنّة النبوية لابن تيمية (تحقيق) «تسعة أجزاء».
٢ - نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (تصحيح).

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	٧
منهج الكتاب	٩
التمهيد	١١
أ - تعريف المعجزة	١٣
ب - هل المعجزة لازمة لكل رسول ؟	١٣
جـ - أقسام المعجزة	١٣
د - لماذا تتعدد المعجزات وتختلف ؟	١٤
هـ - هل معجزات نبينا «محمد» ﷺ متعددة ؟	١٥
و - ما أعظم معجزات نبينا «محمد» ﷺ ؟	١٥
ز - ما القدر المعجز من القرآن الكريم ؟	١٦
ح - نفي الشعر عن النبي ﷺ والقرآن الكريم	١٧
الفصل الأول	
آراء العلماء حول إعجاز القرآن	
* أبوحيان التوحيدي ت ٣٨٠ هـ ورأيه في إعجاز القرآن	٢٤
* الخطابي ت ٣٨٨ هـ ورأية في إعجاز القرآن	٢٥
* الباقلاني ت٤٠٣ هـ ورأيه في إعجاز القرآن	٢٩
* القاضي عبد الجبار ت ٤١٥ هـ ورأيه في إعجاز القرآن	٣٣
* عبد القاهر الجرجاني ت ٤٧١ هـ ورأيه في إعجاز القرآن	٣٥
* الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢ هـ ورأيه في إعجاز القرآن	٣٧
* ابن عطية ت ٥٤٢ هـ ورأيه في إعجاز القرآن	٤٠
* القاضي عياض ت ٥٤٤ هـ ورأيه في إعجاز القرآن	٤١
* المراكشي ت ٧٢١ هـ ورأيه في إعجاز القرآن الكريم	٤٤
* الرافعي ت ١٣٥٦ هـ ورأيه في إعجاز القرآن	٤٥
*** الرأي الذي رأيته في إعجاز القرآن الكريم	٤٨
** القول بالإعجاز بالصرفة والردّ عليه	٥٠
* العلماء الذين قالوا أيضا بالإعجاز بالصرفة	٥٠
* ما الردود التي رددت بها على القائلين بالإعجاز بالصرفة؟	٥١

الموضوع	الصفحة

الفصل الثانى
الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

* الغرائز ودلالتها على الإعجاز العلمى للقرآن الكريم ٦١
* غرائز الإنسان ودلالتها على الإعجاز العلمى للقرآن ٦٤
* الغرائز الثلاث التى أودعها الله المخلوقات ٦٤
* غريزة المحبة عند الإنسان ٦٥
* غريزة عاطفة الأمومة ٦٨
* نفس الإنسان ودلالتها على الإعجاز العلمى للقرآن ٧٠
* الأطوار الخمسة التى مر بها خلق الإنسان ٧١
* غريزة النوم ودلالتها على الإعجاز العلمى للقرآن ٧٧
* الماء ودلالته على الإعجاز العلمى للقرآن ٧٨
* عسل النحل ودلالته على الإعجاز العلمى للقرآن ٧٩

الخاتمة : ٨١

أهمّ المراجع : ٨٢

حياة المؤلف : ٨٤

شيوخ المؤلف : ٨٧

مصنفات المؤلف : ٨٩

– تم ولله الحمد والشكر –

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه إجازة شيخى لى بالقراءة والإقراء بالقراءات العشر الصغرى والكبرى

الحمد لله الذى أنزل القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وأشهد أن لا إله إلا الله القائل فى محكم كتابه:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وأشهد أن نبينا «محمدًا» رسول الله المرويّ عنه بالسند الصحيح فى الحديث الذى رواه عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأنى جبريل ـ عليه السلام ـ على حرف واحد فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف» اهـ. [رواه البخارى].

كما ورد عن الهادى البشير ﷺ الكثير من الأحاديث الصحيحة التى تبين فضل حملة القرآن الكريم وفضل المشتغلين بتعليمه:

فعن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال:

«خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه» اهـ. [متفق عليه].

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال:
«اقرأوا القرآن فإن الله ـ تعالى ـ لا يعذب قلبًا وعى القرآن وإن هذا القرآن مأدبة الله فمن دخل فيه أمن، ومن أحبَّ القرآن فليبشر» اهـ. [رواه الدارمى].

وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال:
«إن لله أهلين من الناس»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» اهـ. [رواه أحمد].

وبعد..

فيقول خادم العلم والقرآن / محمد بن محمد بن محمد بن سالم بن محيسن:

من نعم الله ـ تعالى ـ التى لا تحصى أن جعلنى من حملة كتابه، ومن الذين تلقوا القرآن الكريم بجميع رواياته وقراءاته التى صحت عن نبينا «محمد» ﷺ بواسطة أمين الوحى «جبريل» ـ عليه السلام ـ عن الله ـ تعالى ـ ربّ العالمين.

وهذه القراءات القرآنية تلقاها الخلف عن السلف حتى وصلت إلينا بطريق التواتر، والسند الصحيح حتى نبينا «محمد» ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وأقرر ولله الحمد والشكر والثناء الحسن الجميل بأننى تلقيت «القراءات العشر» بمضمّن كل من:

(١) «التيسير» في القراءات السبع لأبى عمرو الدانى (ت: ٤٤٤هـ).

(٢) «الدرّة» فى القراءات الثلاث للإمام محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف المعروف بابن الجزرى (ت: ٨٣٣هـ).

كما تلقيت ولله الحمد والشكر «القراءات العشر الكبرى» بمضمن كتاب «النشر فى القراءات العشر» للإمام ابن الجزرى ـ رحمه الله ـ.

تلقيت جميع هذه القراءات القرآنية مشافهة على أستاذى علامة عصره، المشهور بالدّقة، والضبط، وصحة السند فضيلة الشيخ/ عامر السيد عثمان شيخ القراء، والقراءات، وجميع عموم المقارئ بمصر الحبيبة، وذلك بمعهد القراءات بالأزهر الشريف بالقاهرة، وذلك خلال سبع سنوات من عام ١٩٤٦م إلى عام ١٩٥٣م.

وكان أستاذى فضيلة الشيخ/ عامر السيد عثمان يقوم بتدريس القراءات بالمعهد المذكور.

وممـا أحمـد الله ـ تعالى ـ عليـه أنني قرأت على شـيخي فضـيلة الشيخ/ عامر السيد عثمـان، القرآن الكريم كله آية آية، وكلمة كلمة، من أوله إلى آخره، وقد قرأت على شيخي مشافهة ختمتين كاملتين طوال سبع سنوات:

الختمة الأولى: بالقراءات العشر بمضمّن الشاطبية والدرّة.

والختمة الثانية: بالقراءات العشر الكبرى بمضمن طيبة النشر.

وقد أجـازني أستاذي فـضيلة الشـيخ/ عامر السـيد عـثمان بأن أقـرأ، وأقرئ القرآن الكريم بجميع القراءات، والروايات التي تلقيتها على فضيلته إفراداً وجمعاً.

فلله جزيل الحـمد والمنّة، ثم لشـيخي خالص الشكر الجـزيل أسأل الله ـ تعالى ـ أن يـمدّ في أجله وأن ينفع به المـسلمين وأن يجـمعني معـه في جنات النعيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين. وصلّ اللهم على نبينا «محمد» وعلى آله وصحبه أجمعين.

وهذا نصّ إجازة شيخي فضيلة الشيخ/ عامر السيد عثمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحـمد لله رب العالمـين، والصلاة والسلام على أشرف النبيـين والمرسلين نبينا "محمد" وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

أقرّ بأن ابني وتلميذي: محمد بن محمد بن محمد بن سالم بن محيسن تلقى عليّ القراءات القرآنية مشافهة بمضمن كل من: الشاطبية، والدرة، والطيبة. وقد أجزته بالقراءة والإقراء بذلك إفراداً وجمعاً.

أسأل الله أن ينفع به المسلمين إنه سميع مجيب..

عامر سيد عثمان ١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه إجازة الطيبة

الحمد لله الذى خلق الإنسان، ومنحه جزيل الإحسان، وشرفه بنطق اللسان، وسهّل عليه حفظ القرآن، تنزه كلامه ـ سبحانه وتعالى ـ عن الحروف والأصوات والألفاظ والألحان، فهو صفة قديمة قائمة بذاته ـ تعالى ـ قبل الزمان وبعد الزمان.

نحمده ـ سبحانه وتعالى ـ أن جعلنا من ورثة هذا الكتاب العزيز، ومَنّ علينا بجمع وجوه قراءاته وتحرير طرقه ورواياته، وشرح صدورنا بتلاوته في كل وقت وأوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا يقال: أين كان؟ ولا كيف كان؟، وأشهد أن سيدنا ونبينا «محمداً» ﷺ عبده ورسوله القائل: «من أراد أن يتكلم مع الله فليقرأ القرآن» صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته، الذين حفظوا القرآن ونقلوه إلينا متواتراً، فصانوه عن التغيير والتبديل والتحريف والزيادة والنقصان، فأقاموا إعراب كلمه من رفعه ونصبه وجزمه، واجتهدوا في تحقيقه وترتيله وتدويره وحدره، وبينوا الفرق بين فتحه وإمالته ومده وقصره، وأجادوا في بيان إدغامه وإظهاره وتحقيقه وتسهيله، ونقلوا ما يحتاجون إليه من قطعه ووصله، ونقلوه إلينا غضّاً رطبا، وأدوه إلينا صريحًا محضًا، وبينوه في الآفاق طولا وعرضًا، فأحرز لهم بالفضل الجميل حرز الأماني، وقابلهم بوجه الفرح والتهاني.

أما بعد: فإن أهم العلوم علم القراءات، لاشتماله على جميع العلوم بالدلالات، لا سيما وقد تصدر له رجال محققون وأئمة مدققون، فكشفوا عن وجهه اللثام، ونقلوه إلينا على تحرير تام، وإن أهل القرآن هم الملحوظون من الله بعين رعايته، الممنوحون من الله بعنايته، لا يشقى لهم جليس، ولا يظفر بهم اللعين إبليس، شاع حديثهم في الأكوان، وذكرهم الله في محكم القرآن، فقال ـ تعالى ـ:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال ـ عليه أزكى الصلاة والسلام ـ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

وفي صحيح مسلم: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده».

وقال رسول الله ﷺ: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه».

وعن أنس: «إن لله أهلين من خلقه» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته». وغير ذلك من الأحاديث والآثار.

ولما جاد الزمان باللوذعي الأديب، والألمعي الأريب، العالم الفاضل، والفهامة الكامل، حاوي أشتات الفضائل، وفخر السادة الأماثل، من ذاع ذكره في كل مكان الشيخ/ عامر بن السيد جفيد عثمان - غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه - جاء إلي وقرأ على ختمة كاملة عن طريق الطيبة للقراء العشرة.

ولقد ساد وجاد، وأكمد الحساد، وبلغ رتبة الكمال على رغم الحساد وأهل الضلال، وصار على غاية من الإتقان، وخاض بحر العرفان، فطلب مني الإجازة فأجزته بذلك لكونه أهلاً لذلك إجازة صحيحة بشرطها المعتبر، وأذنت له أن يقرأ ويقرئ في كل مكان حل وأي قطر نزل - وفقه الله تعالى للخير، وكان الله له بالعون والعناية -

وأخبرته أني قرأت القرآن العظيم بذلك على شيخي وأستاذي المحقق المدقق الأمين على كتاب الله المتفنن المنان الشيخ/ على سُبَيْع عبد الرحمن - متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم بجاه النبي عليه أفضل الصلاة والتسليم - وهو أخبرني أنه قرأ القرآن كذلك على المحقق المدقق والأمين على كتاب الله اللطيف الخبير الشيخ/ حسن بدير من هو بالجُرَيْسي شهير - متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم بجاه النبي ذي الخلق العظيم - وهو أخبر أنه قرأ القرآن كذلك على المحقق المدقق المرحوم الشيخ/ محمد المتولي الأزهري، وهو أخبر أنه قرأ القرآن كذلك على المحقق المدقق العمدة الفاضل السيد أحمد الدري الشهير بالتهامي - قدس الله روحه ونور ضريحه - عن قراءته على العمدة الفاضل الشيخ/ أحمد سلمونه - رحمة الله تعالى عليه - عن قراءته على شيخه السيد إبراهيم العبيدي عن قراءته على المحقق المدقق الأمين على كتاب الله - تعالى - المرحوم العمدة الفاضل

الشيخ/ عبد الرحمن الأجهوري المالكي والعمدة الفاضل المدقق الأمين على كتاب الله ـ تعالى ـ السيد على البدري، والعمدة الفاضل الشيخ/ محمد المنير.

فأما الشيخ/ عبد الرحمن فقد قرأ على محقق العصر الشيخ/ عبده السجاعي والشيخ/ أحمد البقري والشيخ/ أحمد الإسقاطي ويوسف أفندي زاده شيخ القراء بالديار الفلسطينية عام واحد وخمسين ومائة وألف بقلعة مصر، وقت قدومه للحج الشريف. وكذا الشيخ/ الأزبكاوي الشهير بالجامع الأزهر، وكذا على الشيخ/ محفوظ به أيضًا رواق بن معمر، وكذا على الشيخ/ عبد الله الشماظي المغربي، وقت رحلته إلى المدينة المنورة عام اثنين وخمسين ومائة وألف من الهجرة.

وأما السيد على البدرى فقد قرأ على الشيخ/ أحمد الإسقاطي وكذا يوسف أفندي زاده، وكذا الشيخ/ محمد الأزبكاوي، وكذا على الشيخ/ محفوظ، وكذا على الشيخ/ عبد الله المغربي.

وأما الشيخ/ عبده السجاعي فقد قرأ على محقق العصر أبي السماح المرحوم الشيخ/ أحمد البقري.

وأما الشيخ/ أحمد الإسقاطي فقد قرأ على أبي النور الدمياطي على كل من المحقق الشيخ/ أحمد البناء صاحب الإتحاف والشيخ/ أحمد سلطان المزاحي محرر الفن، وقرأ الشيخ/ أحمد سلطان على سيف الدين البصير.

وأما يوسف أفندي زاده فقد قرأ على مولانا الشيخ/ أحمد المنصوري بالديار الفلسطينية، وقت رحلته إليها وإقامته بها، وقرأ المنصوري على الشيخ/ سلطان وعلى الشيخ/ على الشبراملسي، وقرأ الشيخ/ أحمد البقري على الشيخ/ محمد ابن قاسم البقري، وقرأ الشيخ/ عبد الرحمن اليمني على والده الشيخ/ شحاذه اليمني وعلى الشيخ/ أحمد بن عبد الحق السنباطي، وقد قرأ الشيخ/ على الشبراملسي على الشيخ/ عبد الرحمن اليمني، وقرأ سيف الدين البصير على السنباطي، وقرأ الشيخ/ محمد الأزبكاوي على الشيخ/ محمد البقري، وقرأ الشيخ/ محفوظ على الشيخ/ الرملي، وقرأ الرملي على الشيخ/ محمد البقري، وقرأ الشيخ/ عبد الله الشيماظي على رجال كثيرين منهم الشيخ/ عبد الخالق الشيماظي المتصل نسبه بشيخ الإسلام الشيخ/ عبد الله الهبطي صاحب الأوقاف الشهيرة المتصل سنده بأبي عمرو الداني وقرأ الشيخ/ شحاذه أيضًا على ناصر

الدين محمد بن سالم الطبلاوى، وقرأ السنباطى والطبلاوى على شيخ الإسلام/ زكريا الأنصارى على شيخه/ رضوان بن محمد المقبى عن الزين طاهر بن محمد ابن على بن محمد بن عمر النويرى المالكى شيخ القراء بالديار المصرية والشيخ/ محمد القلقيلى عن شيخهما إمام الجامع الأزهر المعروف بالصّائغ عن أبى الحسن على بن شجاع بن سالم الهاشمى العباسى صهر الشاطبى على الشاطبى عن الشيخ/ أحمد صهر الشاطبى على الشيخ/ أبى الحسن على بن هذيل على أبى داود سليمان بن نجاح على الحافظ أبى عمرو الدانى مؤلف «التيسير».

قال ابن الجزرى فى «التحبير»:

إسناد قراءة نافع

* فأما رواية قالون: فحدثنا بها أحمد بن عمر بن محمد الجيزى قال: حدثنا محمد بن أحمد بن منير قال: حدثنا عبد الله بن عيسى المدنى قال: حدثنا قالون عن نافع، قال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله على شيخى أبى الفتح فارس بن أحمد بن موسى بن عمران المقرئ الضرير، وقال لى: قرأت بها القرآن على أبى الحسن عبد الباقى بن حسن المقرئ، وقال: قرأت على أبى الحسين أحمد بن عثمان بن جعفر بن بويان، وقال: قرأت على أبى بكر أحمد بن محمد بن الأشعث، وقال: قرأت على أبى نشيط محمد بن هارون، وقال: قرأت على قالون، وقال: قرأت على نافع.

* أما رواية ورش: فحدثنا بها أبو عبد الله أحمد بن محفوظ القاضى بمصر، قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن جامع، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن سهل، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الرحمن، قال: حدثنا ورش عن نافع، قال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله على أبى القاسم خلف بن إبراهيم بن محمد بن خاقان المقرئ بمصر، وقال لى: قرأت بها القرآن كله على أبى جعفر أحمد بن أسامة التجيبى، وقال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله النحاس، وقال: قرأت على أبى يعقوب يوسف بن عمر بن يسار الأزرق، وقال: قرأت على ورش، وقال: قرأت على نافع ونافع هو عبد الرحمن بن أبى نُعيم مولى جعصونة، ويكنى بأبى رويم، وقيل غير ذلك، وأصله من أصفهان، أسود، كان إمام دار الهجرة، وعاش عمراً طويلاً، قرأ على سبعين من التابعين منهم يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصّاح وعبد الرحمن بن هرمز، فقرأوا على عبد الله بن عباس على أُبىّ بن كعب على رسول الله ﷺ.

إسناد قراءة ابن كثير

* فأما رواية البزى: فحدثنا بها محمد بن أحمد الكاتب، قال: أنبأنا أحمد بن موسى، قال: أنبأنا نصر بن محمد الضبي، قال: أنبأنا ابن أبي بزة، قال: قرأت على عكرمة بن سليمان بن عامر، وقال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله القُسط قال: قرأت على ابن كثير نفسه، كذا قاله البزى، قال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله على أبي القاسم عبد العزيز بن جعفر بن محمد المقرئ الفارسي، وقال لي: قرأت بها القرآن كله على أبي بكر محمد بن الحسن النقاش، وقال لي: قرأت بها القرآن على أبي ربيعة محمد بن إسحاق الربعي، وقال: قرأت بها على البزى.

* وأما رواية قنبل: فحدثنا بها أبو مسلم محمد بن أحمد بن على البغدادى قال: قرأت على أبي الحسين أحمد بن محمد بن عوف القوسي، وقال: قرأت على أبي الأخريط وهب بن واضح، وقال: قرأت على إسماعيل بن عبد الله القُسط، وقال: قرأت على شبل بن عباد ومعروف بن مشكان، وقالا: قرأنا على ابن كثير، قال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله على فارس بن أحمد الحمصي المقرئ الضرير، وقال: قرأت بها على عبد الله بن الحسين البغدادى، وقال: قرأت على محمد بن مجاهد، وقال: قرأت على قنبل، وهذا البدر الثاني أبو معبد عبد الله بن كثير المكي مولى عمرو ابن علقمة تابعي وأصله من أبناء فارس، وكان طويلا جسيمًا، أسمر أشهل، يخضب بالحناء، قرأ على عبد الله بن السائب المخزومي الصحابي على أُبَيّ وعلى مجاهد بن جبر ودرباس على عبد الله بن عباس على أُبَيّ وزيد بن ثابت على النبي ﷺ.

إسناد قراءة أبي عمرو

* فأما رواية أبي عمرو الدوري: فحدثنا بها محمد بن أحمد بن علي ، قال: حدثنا أبو عيسى محمد بن أحمد بن قطن سنة ٣١٨ ثماني عشرة وثلاث مائة قال: أنبأنا أبو خلاد سليمان بن خلاد قال: حدثنا اليزيدى عن أبي عمرو، قال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله من طريق أبي عمرو على شيخنا عبد العزيز بن جعفر بن محمد ابن إسحاق البغدادى المقرئ، وقال لي: قرأت بها القرآن على أبي طاهر عبد الواحد ابن عمر بن أبي هشام المقرئ ما لا أحصيه كثرة، وقال: قرأت بها على أبي الزعراء عبد الرحمن بن عبدوس، وقال: قرأت على أبي عمرو، وقال: قرأت على اليزيدي، وقال: قرأت على أبي عمرو.

* وأما رواية أبي شعيب السوسي: فحدثنا بها خلف بن إبراهيم بن محمد المقرئ، قال: حدثنا أبو محمد الحسن بن رشيف المعدل، قال: أنبأنا أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الأنصاري النسائي، قال: أنبأنا أبو شعيب، قال: أنبأنا اليزيدي عن أبي عمرو، قال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله بإظهار الأول من المثلين والمتقاربين وبإدغامه على فارس بن أحمد المقرئ، وقال لي: قرأت بها كذلك على عبد الله بن الحسن المقرئ وقال: قرأت بها كذلك على أبي عمران موسى بن جرير النحوي، وقال: قرأت بها كذلك على أبي شعيب، وقال: قرأت بها على أبي عمرو، وقال أبو عمرو الداني: حدثنا بأصول الإدغام محمد بن أحمد عن ابن مجاهد عن عبد الرحمن بن عبدوس عن أبي عمرو الدوري عن اليزيدي عن أبي عمرو، وأنبأنا بها أيضًا أبو الحسن شيخنا، قال: أنبأنا عبد الله بن المبارك عن جعفر بن سليمان عن أبي شعيب عن اليزيدي عن أبي عمرو، وهذا البدر الثالث أبو عمرو بن العلاء البصري المازني من بني مازن، كازروني الأصل، أسمر طويل، واختلف في اسمه فقيل: اسمه كنيته، وقيل: زبان، وقيل غير ذلك، قرأ على جماعة من التابعين بالحجاز والعراق، منهم ابن كثير ومجاهد وسعيد بن جبير على ابن عباس على أبي على النبي ﷺ.

إسناد قراءة ابن عامر

فأما رواية ابن ذكوان: فحدثنا بها محمد بن أحمد، قال: أنبأنا أحمد بن موسى ابن مجاهد، قال: أنبأنا أحمد بن يوسف الثعلبي، قال: أنبأنا عبد الله بن ذكوان، قال: أنبأنا أيوب بن تميم التميمي، قال: أنبأنا يحيى بن الحارث الذماري، قال: قرأت على ابن عامر، وقال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله على عبد العزيز بن جعفر الفارسي المقرئ، وقال لي: قرأت بها على أبي بكر محمد بن الحسن النقاش، وقال: قرأت بها بدمشق على أبي عبد الله هارون بن موسى شريك الأخفش، ورواها الأخفش عن عبد الله بن ذكوان.

* وأما رواية هشام: فحدثنا بها محمد بن أحمد، قال: أنبأنا ابن مجاهد، قال: حدثنا الحسن بن أبي مهران الجمال، قال: أنبأنا أحمد بن يزيد الحلواني، قال: أنبأنا هشام بن عمار، أنبأنا عراك بن خالد المزني، قال: قرأت على يحيى بن الحارث الذماري، وقال: قرأت على عبد الله بن عامر، قال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله على أبي الفتح شيخنا، وقال لي: قرأت بها على عبد الله بن الحسين المقرئ، وقال

لي: قرأت بها على محمد بن أحمد بـن عبد الله بن عبدان، وقال: قرأت على هشام، وهذا البدر الرابع عبد الله بن عـامر الدمشقي التابعي قرأ على المغـيرة بن أبي شهاب على عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وعلى أبي الدرداء على النبي ﷺ.

إسناد قراءة عاصم

* فأما رواية أبي بكر: فحدثنا بها محـمد بن أحمد بن على الكاتب، قال يحيى ابن مجاهد: قال أنبـأنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي قـال: أنبأنا أبي، قال: أنبأنا يحيى بن آدم، قال: أنبـأنا أبو بكر عن عاصم، وقرأت بها القـرآن كله على فارس بن أحمد المقرئ، وقال لي: قرأت بها على أبي الحسن عبد الباقي بن الحسن المقرئ، وقال لي: قرأت على إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد البغدادي المقرئ، وقال لي: قـرأت على يوسف بن يعـقوب الواسطي، وقـال لي: قـرأت على شعـيب بن أيوب الصيـرفي، وقال لي: قرأت بهـا على يحيى بن آدم عن أبي بكر عن عـاصم، قال أبو عمـرو: وقرأت بهـا على فارس بن أحـمد، وقـرأت بها على عـبد الله بن الحـسين، وأخبـرني أنه قرأ على أحـمد بن يوسف القـافلاني، وقرأ أحـمد على الصـيرفي عن يحيى عن أبي بكر عن عاصم.

* وأما رواية حفص: فحدثنا بها أبو الحسن طاهر بن غلبون المقرئ، قال: أنبأنا بها أبو الحـسن على بن محـمد بن صالح الهـاشمي الضرير المـقرئ بالبصـرة، قال: حدثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني، وقـال لي: قرأت على أبي محمد عبيد بن الصبـاح، وقال لي: قرأت على حفص، وقـال لي: قرأت على عاصم، قال أبو عـمرو: وقرأت بها الـقرآن كله على شيخنا أبي الحسن، وقال لي: قرأت بها على الـهاشمي، وقـال: قرأت على الأشنـاني عن عبيـد عن حفص عن عـاصم، وهو عـاصم بن أبي النجـود وكنيته أبو بكر تـابعي قرأ على عـبـد الله بن حـبيب السلمي وزر بن حـبيش الأسدي على عثمان وعليّ وابن مسعود وأُبيّ وزيد ـ رضي الله عنهم ـ على النبي ﷺ.

إسناد قراءة حمزة

* فأما رواية خلف: فحـدثنا بها محمد بن أحمد، قال: أنبـأنا ابن مجاهد، قال: حـدثنا إدريس بن عـبد الكريم، قال: حـدثنا خلف عن سـليم عن حمـزة، قـال أبو عمـرو: وقرأت بهـا القرآن كله على أبي الحسن شيخنا، وقال لي: قرأت بـها على

محمـد بن أبي الحسن بن يوسف بها نهـارين الحرتكي المقرئ بالبـصرة، وقال لي: قرأت بهـا على أبي الحسين أحمـد بن عثمـان بن جعفر بن بويان، وقـال لي: قرأت على أديس بن عبـد الكريم قبل أن يقرأ باختـيار خلف وقـال لي: قرأت على سليم، وقال: قرأت على حمزة.

* وأما رواية خلاد: فحدثنا بها محمـد بن أحمد، قال: حدثنا أحمد بن موسى، قال: حدثنا يحيى بن أحمد بن هارون المزوق عن أحمد بن يزيد الحلواني عن خلاد عن سليم عن حمزة، قـال أبو عمرو: وقرأت بها القـرآن كله على أبي الفتح الضرير شيـخنا، وقال: قرأت بـها القرآن كله على عـبد الله بن الحسـين المقـرئ، وقال لي: قرأت بها على محمد بن أحمد بن شنبـوذ، وقال لي: قرأت بها على أبي بكر محمد ابن شاذان الجوهري المقرئ، وقال لي: قـرأت على خلاد، وقال لي: قرأت بها على سليم، وقـرأ سليم على حـمـزة، هو حـمـزة بن حبـيب الزيات الـكوفي، ويكنى أبا عمارة، كان تركيًا متورعًا، صبوراً على العبادة، متحرزاً عن أخذ الأجرة على القرآن، لا ينام من الليل إلا القليل، مرتلاً، لم يلقـه أحد إلا وهو يقرأ القرآن، قرأ على جـعفر الصادق على أبيـه محمد البـاقر على أبيه زين العـابدين على أبيه الحسـين على أبيه علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وقـرأ حمزة أيضًا على الأعمش على يحيى بن وثاب على علقـمة على ابن مسعود، وقـرأ حمزة أيضًا على مـحمد بن أبي ليلى عن أبي ليلى على أبي المنهال على سعيد بن جبير على عبد الله بن عباس على أُبيّ بن كعب، وقرأ حمـزة أيضًا على حمران بن أعين على أبي الأسـود على عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ وقرأ عثمان وعليّ وابن مسعود وأُبيّ على النبي ﷺ.

إسناد قراءة الكسائي

* فأما رواية الدوري: فحدثنا بها أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن المعدل، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد الدمشقي، قال لنا جعـفر بن محمد بـن أسـد النصيـبي: قـال: حدثنا أبو عمرو الدوري عن الكسـائي، قال أبو عمرو: وقـرأت بها القرآن كله على أبي الفتح الضرير، وقال لي: قـرأت بها على عبد الباقي بن الحسن، وقال: قرأت عـلى محمد بن علي الجلندي المـوصلي، وقال: قرأت على جعـفر بن محمد، وقال لي: على أبي عمر وقال لي: قرأت على الكسائي.

* وأما رواية أبي الحارث: فحدثنا بهـا محمد بن أحمد قال: حدثنا ابن مجاهد، قال: حدثنا محمد بن يحيى عن أبي الحارث عن الكسائي، قال أبو عمرو: وقرأت بها القرآن كله على فارس بن أحمد، وقال لي: قرأت بها على أبي الحسن عبد الباقي بن الحسن المقرئ، وقال لي: قرأت بها على زيد بن علي، وقال لي: قرأت على أحمد بن الحسن المعروف بالبطي، وقال: قرأت على محمد بن يحيى الكسائي الصغير، وقال لي: قرأت على أبي الحارث، وقال لي: قرأت على الكسائي، وهو أبو الحسن علي بن حمزة النحوي، مولى لبني أسد من أولاد الفرس، قيل: الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء، قرأ على حمزة الزيات، وقد تقدم سنده، وقرأ على عيسى بن عمر، على طلحة بن مصرف، على النخعي، على علقمة، على ابن مسعود، على النبي ﷺ.

إسناد قراءة أبي جعفر

* فأما رواية ابن وردان: فحدثنا بها الشيخ/ أبي حفص عمر بن الحسن بن يزيد الخراعي بقراءتي عليه، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي مشافهة عن الإمام أبي اليمن زيد بن الحسن اللغوي، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن علي البغدادي، قال: أخبرنا الشريف أبو الفضل عبد القاهر بن عبد السلام العباسي، قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الكارزيني، قال: أنبأنا أبو الفرج محمد بن أحمد بن إبراهيم الشطوري، قال: أنبأنا أبو الفرج محمد بن أحمد ابن هارون الرازي، قال: أنبأنا أبو العباس الفضل بن شاذان بن عيسى الرازي، قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن يزيد الحلواني، قال: أنبأنا عيسى بن قالون، قال: أخبرنا عيسى بن وردان، قلت: وقرأت بها القرآن كله على الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، قال: قرأت بها القرآن كله على الكمال إبراهيم بن أحمد الحسن الثقفي الكسائي، أنبأنا أحمد بن الحسن عبد الله بن شاكر الصيرفي، أنبأنا أبو العباس أحمد بن سهل الظبيان، أنبأنا أبو عمران موسى بن عبد الرحمن البزار، أنبأنا محمد بن عيسى بن إبراهيم بن رزين الأصبهاني، أنبأنا سليمان بن داود ابن عيسى بن عبد الله بن عباس الهاشمي، أنبأنا إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير المدني بن سليمان بن جماز، قلت: وقرأت بها القرآن كله على أبي عبد الله محمد ابن عبد الرحمن الحنفي، وقرأت بها القرآن كله على محمد بن أحمد الصائغ،

وقرأت بها علـى أبي اليمن، وقرأ بها على سبط الخياط، وقرأ بها عـلى الأستاذ أبي طاهر أحـمد بن علي بن عـبد الله بن سـوار، وقرأ بـها على أبي الحسن بن أبي بكر محمد بن عبـد الله بن المرزبان الأصبهاني، وقرأ بها على أبي عمر مـحمد بن أحمد ابن عمر الخرقي، وقـرأ بها على محمد بن فارس التميمي، قال: قرأت بها على أبي اليمن الـكندي، قال: قرأت بهـا على الإمام أبي منصـور محـمد بن عبـد الملك بن الحسن بن خيـرون البغدادي، قال: قرأت على أبي طاهر محـمد بن راسين الحلبي، قال: قرأت بهـا على أبي الفرج الشطوري، قال: قـرأت بها على أبي بكر بن هارون، قال: قرأت بها على ابن وردان.

* وأما رواية ابن جـماز: فحـدثنا بها إسـحاق بن إبراهيم بن أحمـد بن إبراهيم بن حاتم الجذامي بقراءتـي عليه عن أبي حفص عمر بن غدير بن القـواس الدمشقي، حدثنا أبو اليمن بـن الحسن البغـدادي، أنبأنا أبو مـحمد سـبط الخياط، أنبـأنا الأستـاذ أبو العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي، حـدثنا الإمام أبو القاسم يوسف بن جبارة الهذلي، حدثنا أبو نصـر منصور بن أحمد الفـهدري، أنبأنا أبو الحسن عن ابن محمد الخبـازي، أنبأنا أبو بكر مـحمد بن عبـد الرحمن أبو الفضل الجوهري، أنبـأنا محمد بن أحـمد بن جعفر بن محمود بن الأشناني، وقرأ بها على محـمد بن محمد الثقفي الكسائي، وقرأ بها على ابن شاكـر، وقرأ بها على ابن سهل الطيـان، وقرأ بها على أبي عمـران الخزاز، وقرأ بها على ابن رزين، وقرأ بهـا على الهاشمي، وقرأ بها على ابن جعـفر، وقرأ بها على ابن جماز، وقرأ ابن وردان وابن جماز على أبي جعفر، فهو يزيد بن القعقاع المخزومي، كان تابعيًا، كبير القدر، انتهت إليـه رياسة الإقراء بالمدينة، وكان يقرأ في مدينة رسول الله ﷺ سنة ٦٣هـ ثلاث وستين، قال يحيى بن معـين: كان إمام أهل زمانه في القراءة، وكان ثقة، ومسـحت أم سلمـة زوج النبي ﷺ على رأسه وهو صغير، ودعت له بالبركـة، وكان شيخ نافع، وقدمـه عبد الله بن عمـر في الكعبة فصلى بالناس، قـال نافع: لما غسل أبو جـعفر نظروا مـا بين نحره وفؤاده مـثل ورقة المـصحف، فـما شك أحد ممن حضـره أنه نور القرآن، ورُئي في المنام بعـد موته فقال: بشـروا أصحابي وكل من قرأ قـراءتي أنّ الله قد غفر له وأجاب فيـهم دعوتي، قرأ على مولاه عبد الله بن عياش بن أبي ربـيعة المخزومي وعلى عـبد الله بن عـباس الهـاشمي وعلى أبـي هريرة وقرأ هؤلاء الثـلاثة على أُبيّ وابن عباس أيضًا على زيد بن ثابت، وقرأ زيد وأُبيّ على رسول الله ﷺ.

إسناد قراءة يعقوب

فأما رواية رويس: فحدثنا بها الشيخ/ الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الخضر الحنفي بقراءتي عليه، قال: أخبرنا بها أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعيم الصالحي، قال: أنبأنا أبو طالب عبد اللطيف بن محمد القبيطي في كتابه عن أبي بكر أحمد بن علي المقرئ عن أبي طاهر علي بن علي المقرئ الأستاذ عن أبي الحسن علي بن محمد بن علي الخياط عن أبي الحسن بن سليمان النحاس عن أبي بكر محمد بن هارون بن نافع البغدادي عن أبي عبد الله الدلال محمد بن المتوكل المعروف برويس، قلت: وقرأت بها على أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد بن علي البغدادي على محمد بن أحمد المصري على إبراهيم بن أحمد السكندري على زيد بن الحسن على عبد الله بن علي البغدادي على أبي العز القلانسي على أبي الحسن بن أبي القاسم الواسطي على الحمامي على النحاس على التمار على رويس على يعقوب.

* وأما رواية روح: فحدثنا بها أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين الشيرازي عن أبي الحسن علي بن أحمد المقرئ على أبي اليمنى الكندي شفاهًا عن أبي محمد البغدادي عن أبي الفضل عن الشريف المكي عن محمد بن حسين الفارسي عن أبي الحسين علي بن محمد بن إبراهيم بن هشام المالكي عن أبي العباس محمد بن يعقوب بن الحجاج بن معاوية التميمي عن أبي بكر محمد بن وهب بن يحيى بن العلاء الثقفي البغدادي عن روح بن عبد المؤمن البصري، قلت: وقرأت بها على أبي محمد بن أحمد بالقاهرة على أبي عبد الله الصائغ على إسحاق الدمشقي عن زيد بن الحسن على محمد بن الحسن على محمد بن عليّ على أبي طاهر بن سوار على أبي القاسم المسافر ابن أبي الطيب بن عباد المصري على ابن هشام على أبي العباس التميمي على ابن وهب على روح على يعقوب، وهو إمام ورع زاهد تقي، قرأ على أبي يحيى مهدي بن ميمون وعلى جعفر أبي الأشهد بن حبان، وقيل: على أبي عمرو نفسه، وقرأ أيضًا على الجحدري على سليمان بن قتّة، وهو قرأ على ابن عباس على أبي العالية، وقرأ على أُبيّ وزيد، وقرأ أبو الأشهب على أبي رجاء عمران بن طلحان العطاردي، وقرأ على أبي موسى الأشعري، على رسول الله ﷺ

إسناد قراءة خلف

فأما قراءة رواية الوراق: فحدثنا بها أبو الحسن عمر بن الحسن بقراءتي عليه ظاهر دمشق عن شيخه الإمام الخطيب ابن العباس أحمد بن إبراهيم بن عمرو الفارسي الشافعي، قال: أخبرني والدي عن أبي السعادات الأسعد بن سلطان الواسطي، أنبأنا أبو علي الأوسطي، أنبأنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن الخضر السويدي، أنبأنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن مرة المعروف بابن أبي عمر النقاش، أنبأنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم الوراق، قلت: وقرأت بها القرآن كله على كل من الشيخين/ أبي عبد الله الحنفي وأبي محمد الشافعي، وقرأ كل منهما على ابن عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق المصري، وقرأ بها على الكمال بن فارس، وقرأ بها على زيد بن الحسن، وقرأ بها على أبي القاسم، وقرأ بها على هبة الله بن أحمد الطبري البغدادي، وقرأ بها على أبي بكر محمد بن علي بن موسى الخياط، وقرأ بها على أبي الحسين السونجردي، وقرأ بها على ابن أبي عمر الطوسي، وقرأ بها على إسحاق الوراق، وقرأ بها خلف.

* وأما رواية إدريس: فحدثنا بها أحمد بن محمد بن الحسين الفارسي بقراءتي عليه، أنبأنا علي بن أحمد في ما شافهني به عن زيد بن الحسن البغدادي، أخبرنا أبو القاسم بن أحمد الحريري، أنبأنا أبو بكر محمد بن علي بن محمد الخياط، أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الحداد، أنبأنا إدريس بن عبد الكريم الحداد، قلت: وقرأت بها القرآن كله على الشيخ/ أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الواسطي، وأخبرني أنه قرأ بها القرآن كله على محمد بن أحمد بن عبد الخالق المعدل، وقرأ بها على إبراهيم بن أحمد، وقرأ بها على أبي اليمن، وقرأ بها على أبي محمد سبط الخياط، قال: قرأت بها القرآن من أوله إلى آخره على الإمامين الشريف أبو الفضل عبد القاهر بن عبد السلام العباسي وأبي المعالي ثابت بن بزار بن إبراهيم البقال، فأما الشريف فأخبرنا أنه قرأ بها على الإمام أبي العباس أحمد بن سعيد بن جعفر المطوعي، وأما أبو المعالي فأخبرنا أنه قرأ بها على الإمام القاضي أبي العلا محمد بن علي بن يعقوب الواسطي، وقرأ الواسطي من الكتاب على الإمام أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك، وقرأ القطيعي والمطوعي جميعًا على إدريس، وقرأ إدريس على خلف فهو أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار

بالراء، راوى حمزة، كان إمامًا ثقة عالمًا، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، قرأ على سليم صاحب حمزة، وعلى يعقوب بن خليفة الأعشى صاحب أبى بكر، وعلى ابن زيد سعيد بن أوس الأنصارى صاحب المفضل، وقرأ أبو بكر والمفضل على عاصم الكوفى متصلا إلى رسول ﷺ.

فهذه الأسانيد التى أدت إلينا هذه الروايات رواية وتلاوة وغير ذلك من الأسانيد المذكورة فى «النشر».

وأوصى ولدنا المذكور بتقوى الله ـ تعالى ـ وأن لا ينسانى من دعواته الصالحة فى خلواته وجلواته، وأجزته أن يقرأ قراءة ورواية ووجها، كما سبق ـ يسر الله له أمره، وسهل ـ.

وكان الفراغ من تلقى هذه الختمة المباركة صبح يوم الخميس الخامس عشر من شهر رجب الفرد سنة ١٣٤٧هـ (ألف وثلاثمائة وسبع وأربعين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام).

وتمت الإجازة كتابة عصر يوم الجمعة الرابع عشر من شهر شعبان المعظم سنة ١٣٤٧ (ألف وثلاثمائة وسبع وأربعين هجرية) الموافق من السنة الميلادية ٢٥ يناير سنة ١٩٢٩م (ألف وتسعمائة وتسع وعشرين) والحمد لله أولا وآخرًا وباطنًا وظاهرًا.

روائع البيان
في إعجاز القرآن